
NATIONAL LIBRARY
031368
بين القادسية
وقادسية صدام
NATIONAL LIBRARY
004439

الموسوعة الصغيرة

(٨١)

بين
القادسية الاولى
و
قادسية صدام حسين

مهدي حسين البصري

منشورات دار الجاحظ للنشر ـ وزارة الثقافة والاعلام

تشرين الاول ١٩٨٠ بغداد

الاهـــداء

الى بطل التحرير القومي الرئيس القـائد المناضل صدام حسين ..

الى الفارس العربي الجسور ، الذي حمل في قلبه وعقله وبين عينيـه آمال ومطامح وأماني الامة العربية المجيـدة في الوحدة والتحـرر والسيادة ..

الى كل مقاتلينـا الشجعـان من أحفـاد سادتنا .. علي ، وعمـر ، والحسين ، وخالد ، وسعد ، والمثنى ، والقعقـاع ، والبجلي ، وابو محجن ... الذين أعادوا ببسالتهـم وصمودهم البطولي الرائع فوق ربى الجبهة الشرقية للوطن العربي في (قادسية صدام حسين) مآثر وامجاد القادسية الاولى ..

... مع كل الاكبار والاعتزاز والمحبة ..

« .. انكم والله تقاتلون نيابة عن التاريخ في ماضيه .. وفي حاضره .. ومستقبله .. لانكم تدافعون عن مجده وعن قيمه .. انكم تقاتلون كي ينهض العرب جميعا من غفوتهم ومهانتهم .. انكم تقولون لهم انهضوا لقد جاء زمن النهوض .. » .

« .. انكم تقاتلون بطريقة الفرسان من أجدادكم في صدر الرسالة ، ومن صناديد صلاح الدين في حطين ، ويقينا ان أحدا من العرب لم يقاتل منذ تلك المعارك الخالدة كما قاتلتم اليوم . بل يقينا ان قلة من رجال العالم

من قاتل أو يقاتل مثلكم اليوم .. انه الشرف الرفيع ايها الاخوة .. واننا معكم في كل لحظة ، وفي كل همسة ، وفي كل صولة .. والاهم ان الله معكم .. » .

بطل التحرير القومي

الرئيس القائد المناضل صدام حسين

المقـــدمة

عندما انبثق الاسلام في ربوع الارض العربية المقدسة كان يراود مخيلة مفجره وباعثه الرسول العربي الكريم محمد بن عبدالله (ص) ـ حلم كبير ، هو حلم وأمنيـة الامة العربيـة كلها في الوحدة والتحرر •• ولم يكن من الممكن تحقيق ذلك الهدف العظيم بغير تلك التضحيات الجسام التي قدمهـا العرب في اطار الواقـع الذي كان يسود الوضـع الدولي ، والظـروف التي كان يحيـاها الوطن العربـي آنذاك ، وحيث اقترب ذلك الحلم الثوري بارادة وتصميم خارق الحدود حتى اضحى حقيقة ماثلة صارت بمقتضاها الامة العريقـة التي كانت تمزقهـا النزعات الاقليميـة

والعشائريـة ، والفرديـة وتتحكم فيهـا ارادة المحتلين •• أمة موحدة ، مهيبة الجانب ينظر اليها العالم كله نظرة تقدير واحترام ••

تلك المآثر الخالدة من النضال القومي التي حققتها الامة برجالها العظام ابان انبثاق الاسلام ـ والتي كان من بينها مأثرة القادسية العظيمة ـ تمثلها وعاشها بايمان عميق ومتجدد أبناء هـذه الامة المخلصون لها ، والمؤمنون بقضية وحدتها وارادتها الفاعلة الخلاقـة من جديد في قادسـية العرب الجديدة « قادسية صدام حسين » •

وقد كان ذلك التواصل الروحي العميـق بين قيم السماء ومقتضيات الحياة على الارض ، وذلك الاندفاع البطولي لتحرير ارادة الانسـان من كل اشكال الاستبداد والعـدوان ، واطلاق ارادة الخير والمحبـة بين النـاس جميعـا •• هو الذي اكتسح آنذاك في «قادسية سعد»واليوم

في « قادسية صدام حسين » ـ بقوة متناهية القدرة كل الحدود والعوائق التي كانت تعيق حركة الانسان العربي نحو التحرر والسيادة على ارضه ومقدراته ، لتمتد ارادته الى كل الارض العربية التي أمامه لتحطم كل مظاهر ومعالم العدوان والتجزئة والتخلف فيها لتعيد من جديد للامة وحدتها وأصالتها ..

واذا كانت معركة القادسية الاولى واحدة من معارك الوحدة والتحرير التي خاضها العرب المسلمون تخطوا فيها بايمانهم العميق بعدالة قضيتهم وبالضرورة الحتمية لانتصارهم على البغي والعدوان والشر ـ كل قوى الضلالة والظلام فان (قادسية صدام حسين) اليوم ـ بكل أحداثها ونتائجها تعد تجسيدا حيا ورائعا لذلك التلاحم العضوي المصيري لارادة الامة العربية وقدرتها على الصمود بالمواجهة والتحدي في هذا

الظرف الذي تتجدد فيه العوامل التي فجرت من قبل معركة القادسية الاولى مع أعداء الامة التقليديين ، مما يبرز لملحمة قادسية صدام حسين ـ بكل مآثرها الجليلة اهميتها القومية والتاريخية والتي تمثل ابرز واهم معالم الشموخ والارادة المتوثبة دوما في هذه الامة وجماهيرها التي لقنت اعداءها من احفاد المجوس من جديد دروسا بليغة في الاباء والصمود من أجل الحق والكرامة والسيادة القومية ، كما لقنتهم من قبل القادسية الاولى ..

تحية اكبار واجلال لقائد المسيرة المظفرة .. الفارس العربي الجسور ، ولكل المجاهدين الابطال الذين صنعوا بارادتهم وعزمهم الثابت واستبسالهم مجد هذه الامة ..

سلام على كل الشهداء الابرار الذين

خضبوا هذه الارض المباركة بدمائهم الزكية الطاهرة ..

سلام عليهم يوم ولدوا في القادسية من جديد ابطالا محررين ..

وسلام عليهم يوم يبعثون في خلود أبدي في قلوب وضمائر ووجدان كل اجيال هذه الامة .. تتجدد ذكراهم أبدا كلما تجددت في هذه الامة عزائمها في النضال والتحدي والصمود .

مهدي حسين البصري

القادسية

معركة القضية الكبرى

لقد أعقب فتح مكة عام (٨) للهجرة توجه العرب المسلمين بقيادة الرسول الاعظم محمد (ص) لبسط سيادتهم على كل أرض الجزيرة العربية ، وتم ذلك بعد سلسلة من المعارك مع قوى الشرك وعقد المواثيق والاحلاف مع الكثير من القبائل العربية ، وقد وجد العرب أنفسهم بعد مراجعة واعية لذاتهم مدفوعين للانضواء تحت لواء الاسلام ونبذ المكابرة والاعراض عن تقبل مبادئه وأهدافه بعد أن أدركوا ما فتح الله عليهم به من وحدة الكلمة ، والعزة والانتصار لارادتهم الخيرة ولمثلهم العليا السامية ، فاضحوا

فيما بعد ـ طلائع النضال في سبيل اعلاء كلمته ـ والتي هي في حقيقتها تمثل اعلاء لكلمة الامة ونهوضها الشامل ، فكان المسلم ـ بحق كما يقول « الاستاذ ميشيل عفلق » : « هو العربي الذي آمن بالدين الجديد لأنه استجمع الشروط والفضائل اللازمة ليفهم أن هذا الدين يمثل وثبة العروبة الى الوحدة والقوة والرقي ..»[1].

إن التوجهات الوحدوية في ظل القيادة النبوية قد اختمرت وتمثلت ضمن منطلقات الرسول لتوسيع مجال بث الرسالة الاسلامية في كل ارجاء الوطن العربي وخارجه مبتدأ ذلك بارسال البعوث والتفاوض مع اقطاب المعسكرات الدولية آنذاك لتقبل مبادىء الرسالة الاسلامية والاعتراف بأحقيتها وجدارتها بأن تحتل الموقع المتميز بين شتى المذاهب السائدة ذلك الوقت ،

(١) في سبيل البعث .

وقد اعطى محمد (ص) بجهوده الدبلوماسية بهذا الاتجاه قوة معنوية لأمته لتندفع نحو استكمال مقومات شخصيتها ولأداء رسالتها الانسانية على الوجه المطلوب بكل الثقة والاقتدار والايمان العميق بحتمية الانتصار على كل مظاهر التشتت في الارادة وفي الاوصال .

وقد أعقب النشاط السياسي بهذا لاتجاه نشاط عسكري محدد المعالم والغايات ارتبط بالتحضير والاستعداد لمواجهة أعداء الامة التقليديين والذين كانوا يحتلون أجزاء من الارض العربية ويخضعونها لسيادتهم ، وقد كانت « موقعة مؤتة » والتي اصطدم بها جيش المسلمين بقيادة « زيد بن حارثة » بجيش الروم البيزنطيين في ارض الشام في مواجهة غير متكافئة على الاطلاق تقهقر على اثرها المسلمون ثم اعقبها تجهيز

الرسول بحملة « تبوك » لغزو الروم سار بها بنفسه في ظروف ذكر أنها : كانت قاسية وحرجة لا تتيح للجيوش أن تغادر أرضها أو مستقرها[٢]، وكان الهدف منها رد الاعتبار للمسلمين بعد انكفائهم في موقعة مؤتة ، ولغرض استئصال ما أمكن للروم من هيبة في نفوس بعض العرب ، وقد تمكن الرسول (ص) خلالها من السيطرة على بعض الواحات المتاخمة للجزيرة ، وكانت تلك من نقاط البداية لتحضير الامة للمواجهة المباشرة مع اعدائها بعد اختبارها الدقيق لأمكانياتهم وقدراتهم في الرد والمقاومة .

وقد جسد خلفاء الرسول (ص) من بعده مطامحه الوحدوية وكرسوا لها جهودهم وكل طاقات وامكانيات الجماهير العربية المسلمة ،

(٢) حركة الفتح الاسلامي ، شكري فيصل ، ص ٤٨ .

ذلك أن الخليفة (ابو بكر الصديق – رض) لما فرغ من أمر جزيرة العرب شرع يجمع الامراء في اماكن متفرقة من الجزيرة واوعز للمسلمين سنة (١٣) للهجرة للتهيؤ لتحرير الشام ، وبعث قبل موته بأسامة بن زيد ليغزو تخوم الشام ، وبعث بخالد بن الوليد الى العراق ، فيما أوعز الى (عمرو بن العاص) يستنفره الى الشام بعد أن كان ولاه على صدقات قضاعة فكتب عمرو الى الخليفة الكلمات التالية – التي تعبر بصدق عن مآثر الاخلاص والطاعة لأداء الواجب في الجهاد من أجل كرامة الارض والانسان العربي المسلم :

« اني سهم من سهام الاسلام وانت عبدالله الرامي بها والجامع لها ، فانظر أشدها واخشاها فارم بي فيها .. »[٣] .

(٣) البداية والنهاية ، ابن كثير مجلد ٧ ص٢ .

وتوجهت جيوش المسلمين الى الشام والتقت هناك في مواجهة بطولية رائعة مع قوات الروم بعد أن تحركت اليها امدادات من القوات العربية الاسلامية من العراق بقيادة (خالد بن الوليد) ، والذي اوعز له ابو بكر (رض) وهو في العراق أن يستنيب على المتبقى من قواته وان يقفل بمن معه الى الشام موكلا اليه مهمة قيادة معركة المواجهة مع الروم ، بعد ان استكمل شطرا من مهمته مع القائد العربي « أبي عبيدة » في تطهير الحيرة والانبار وغيرها من أمصار العراق من فلول الفرس ـ وذلك بالنظر لضخامة الحشود والاستعدادات الرومانية في ارض الشام ، وقد استناب خالد (المثنى بن حارثة الشيباني) ، وفي ارض الشام سجل العرب المسلمون ملحمتهم البطولية في « معركة اليرموك » والتي حرروا على اثرها وبعد

مواجهات عنيفة مع قوات الاحتلال الروماني بلاد الشام ..

وعلى ارض العراق خاض العرب المسلمون معارك ضارية ضد قوات الاحتلال الفارسي وعملائه ، كان ابرزها « معركة البويب » ، في مكان قريب من الكوفة بقيادة البطل (المثنى ابن حارثة) وقد انتصر فيها العرب المسلمون وكانت هذه المعركة نضير معركة اليرموك في الشام ، كما خاضوا معركة مواجهة جريئة مع الفرس عند مكان يقال له « النمارق » ـ بين الحيرة والقادسية ـ هزم على أثره الفرس وأسر ابرز قوادهم (جابان ومردانشاه) ، ثم تعقب العرب الفرس ورصدوا لهم قبل أن تصل أمداداتهم الجديدة بقيادة (نرسي والجالينوس) فهزموهم الى المدائن،وعلى اثرها بعث القائد ابوعبيد بالمقاتل الشجاع المثنى بن حارثة وسرايا أخرى

الى متاخم تلك الناحية كـ « نهر جور » ونحوها ففتحوها صلحا وقهرا وفرضوا الجزية والخراج عليها(٤) ..

وعلى اثر انكفاء الفرس وهزيمتهم على يد العرب اندفعوا لتحشيد ما أمكنهم من الرجال والمعدات واجتمعوا الى قائدهم ـ رستم ـ الذي أرسل جيشا كثيفا جعل عليه (ذا الحاجب ـ بهمس حادويه ـ وحمل معه تيمنا راية كسرى) فالتقى هذا الجيش بالعرب المسلمين وكان بينهم النهر وعليه جسر وارسلوا للمسلمين من يقول لهم : « اما ان تعبروا الينا وإما ان نعبر اليكم » ؟ فقال المسلمون لاميرهم ابي عبيد : «أأمرهم فليعبروا هم الينا» ، لكن القائد ابا عبيد أجاب بكل الثقة والارادة العالية قائلا :

---

(٤) البداية والنهاية ـ المصدر السابق، ص٣٨.

« ما هم بأجرأ على الموت منا .. » ، ثم اقتحم صفوفهم فاجتمعوا في مكان ضيق واقتتلوا هناك قتالا شديدا وكانت مع الفرس (الفيلة) وقد البسوها الجلاجل لتذعر خيول المسلمين ، فكانوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة وما تسمع من الجلاجل واذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة فيما رشقتهم الفرس بالنبل الكثيف فاشتدت عليهم وطأة القتال ، وتدارك القائد الفذ (ابو عبيد) الموقف بفطنته فأمر المسلمين ان يقتلوا الفيلة اولا حيث استوحشوها فقتلوها عن آخرها ، ثم ان (عبدالله بن مرثد الثقفي) عمد لفرط حماسته الى الجسر ـ بعد ان رأى ما لقيه القائد (ابو عبيد) من الاصابة ـ فقطعه ، وقال صائحا يستنهض عزائم المقاتلين العرب : « يا أيها الناس موتوا على

ما مات عليه أمراؤكم أوتظفروا٠٠»[٥] ، فتحكم انفرس فيماوراء الجسر فقتلوا من المسلمين غيلةعددا كبيرا وغرق من غرق منهم في الفرات — رحمهم الله — ٠

٠٠ ولم يثن ذلك من عزيمة وارادة قيادة الجيش العربي الاسلامي — والتي كانت في حمأة الوغى واشتدادها تستثير بصمودها واستبسالها في المواقع الامامية همم وعزائم المقاتلين وتعزز صمودهم ، ذلك ان أبا عبيدة كان قد وقف بعد ان زلزل المسلمون وتراجعوا بعد ان حمي عليهم الوطيس عند الجسر — ونادى :

«٠٠ يأأيها الناس على هيئتكم فأني واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لا يبقى منكم أحد ههنا ٠٠» ٠

(٥) الكامل في التاريخ — ابن الاثير — مجلد ٢ ، ص ٤١٢ ٠

وبقي ابو عبيد ، القائد المغامر ، الشجاع يقاتل ببسالة حتى استشهد ، ولما عدى الناس الى الناحية الاخرى سار بهم القائد (المثنى بن حارثة) فنزل بهم اول منزل وقام يحرسهم هو وشجعان المسلمين ، وقد مر قسم منهم الى المدينة ،ووصل الخبر الى الخليفة (عمر بن الخطاب — رض —) وكان على المنبر ، فقيل ان عمرا تلقى النبأ برباطة جأش ولم يؤنب أحدا من الناس ، بل قال بمحض شعوره العالي بالمسؤولية :

« اللهم ان كل مسلم في حل مني ، أنا فئة كل مسلم ، يرحم اللهأبا عبيد ، لو كان انحاز اليّ لكنت له فئة ٠٠»[٦] ٠

وتدبر امير المؤمنين عمر الامر فبعث على الفور للمثنى بالامداد وفيهم (جرير بن عبدالله

(٦) الكامل — المصدر السابق ، ص ٤١٢ ٠

البجلي) في قومه بجيلة بكمالها وغيره من سادات المسلمين فيما ارسل المثنى الى من في العراق من امراء العرب يستمدهم فبعثوا اليه بالامـــداد انتصارا لارادة الموقف العربي،وقد اقتص العرب من الفرس حيث هزموهم بعد ذلك في « وقعـة البويب » ـ مارة الذكر ـ ٠

استغل الفرس حادثة الجسر وما صاحبها من فتور نسبي في الموقف على الساحة العربية في العراق فبدأوا بلملمة شملهم والاجتماع الى ملكهم «يزدجرد» وتحريض اهل الذمة على نبذ عهودهم والمواثيق التي كانت عليهم مع المسلمين ، وبدأوا بايذاء العرب المسلمين ، واستفحل امرهم حتى اخرجوا العمال العرب من بين اظهرهم فيما يعد تصعيدا خطيرا للموقف المعادي للعرب المسلمين في العراق وانتقاصا من سيادتهم ، وعند هـذا الموقف الخطير ـ اتخذت القيادة الاسلامية في

المدينة قرارها بتحشيد كل الطاقات والامكانيات العربية وزجها في ساحة المواجهة مع الفــرس حفاظا لكرامة الانسان العربي وتطهيرا للارض العربية من دنس الفرس المجوس ٠٠ وأعد الخليفة عمر (رض) لذلك الجيوش ، وقرر في البـدء قيادة الحملة ضد الفرس بنفسه فسار في الاول من محرم سنة (١٤هـ) على رأسها من المدينة فنـزل على ماء يقال له (صرار) وعسكر عازما غـزو الفرس في العراق واستخلف على المدينة (علي بن أبي طالب (رض) واستصحب معـــه عثمان بن عفان (رض) وسادات الصحابة ، ثم رجع الخليفة الى قاعدة الحكم الديمقراطية في الاسلام وهي « الشورى » ـ والتي تقتضي الرجوع الى أهل النظر والعقل والدراية في الامة عندما يريد الحاكم ان يتخذ قرارا في المسائل التي تمس مصلحة الامة جميعا ٠٠ليكتسب القرار صفته الجماعية ـ

فكان ان عقد مجلسا لاستشارة الصحابة واستطلاع رأيهم فيما عزم عليه ، ونودي للصلاة الجامعة ، وقد ارسل عمر الى علي (رض) فقدم من المدينة واستشار الصحابة جميعا فوافقوه في البدء جميعا على الذهاب الى العراق الا (عبدالرحمن بن عوف) فأنه اعترض مبررا رأيه بقوله للخليفة :

« .. اني اخشى ان كسرت أن تضعف المسلمون في سائر اقطار الارض ، واني ارى ان تبعث رجلا وترجع انت الى المدينة » .

وفكر عمر والصحابة في الامر فأستصوبوا رأي ابن عوف مستجيبين لنداء الحكمة والعقل، واضعين نصب اعينهم جميعا مصلحة الامة والحفاظ على سيادتها ووحدة كلمتها .. وهكذا تراجع الخليفة عن عزمه تمشيا مع سيادة المبدأ الديمقراطي ، معرضا حتى عن الانفراد باستعمال

صلاحيته لاختيار الرجل الذي يقود الحملة الى العراق عارضا على (ابن عوف) وبمسمع من الصحابة ان يشير عليه بمن يراه مناسبا لهذه المهمة الكبيرة ، فوقع الاختيار بنتيجة الاجماع على (سعد بن مالك الزهري ..) وهو (سعدبن ابي وقاص) فارسل الخليفة في طلبه واوكل اليه امر قيادة الجيش الزاحف نحو العراق ..

وتوضح وصية الخليفة عمر (رض) للقائد (سعد بن ابي وقاص) المعايير الروحية الرفيعة التي كان يتحلى ويلتزم بها العرب المسلمون وهم يزاولون مهامهم النضالية ضد اعداء دينهم ووطنهم ، وقد اشتملت الوصية على توجيهات عامة لسعد والمقاتلين ، وعلى مبادىء وقواعد عامة في اصول الحرب وفنونها تعتبر بحق جزءا من التراث ـ الحربي للعرب وقد جاء فيها :

« .. اما بعد فاني آمرك ومن معك من

الاجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله افضل العدّة على العدو،واقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة .. واسألوا الله العون على انفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم .. » .

« .. وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم .. واقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها انفسهم ، ويرمّون اسلحتهم وامتعتهم .. » .

« .. واذا وطئت ارض العدو ، فاذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب من تطمئن الى نصحه وصدقه، فان الكذوب لا ينفعك خبره ، وان صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك وليس عينا لك، وليكن منك عند دنوك من ارض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم ، وانتق للطلائع اهل الرأي والبأس من اصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل . فان لقوا عدوا كان اول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا الى اهل الجهاد والصبر على الجلاد ، لاتخص بها احدا بهوى فيضيع من رأيك وامرك اكثر مما حابيت به أهل خاصتك، ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف عليها فيه غلبة او ضيعة ونكاية ، فاذا عاينت العدو فأضمم اليهم أقاصيك

وطلائعك وسراياك واجمع اليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة، ما لم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الاراضي كلها كمعرفة أهلها بها ، فتصنع بعدوك كصنعه بك . ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد الا ضربت عنقه ، لترهب بذلك عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك ، وولي النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .. » .

وشدد عمر (رض) على سعد بضرورة الاعتناء بأهل الصلح والذمة وحمايتهم والوفاء بالعهود معهم انسجاما مع الخلق العربي الاسلامي الرفيع بقوله :

« ونح منازلهم — أي المقاتلين — عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من اصحابك الا من تثق بدينه ، ولا يرزأ احدا من اهلها شيئا،

فأن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيرا.. ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ..»[٧] .

وسار سعد الى العراق باربعة آلاف مقاتل (ثلاثة آلاف من اهل اليمن ، والف من سائر العرب) ، وانتهى في مسيره الى نهر (زرود) ولم يبق بينه وبين (المثنى بن حارثة) الا مسارا قليلا ، ولم يسعف الحظ المثنى — القائد العربي الشجاع— المشاركة في حرب القادسية حيثوافته المنية — رحمة الله عليه — بعد ان انتقض جرحه الذي كان جرحه يوم الجسر بعد ان ابلى في جهاده طويلا يذب عن حمى دينه وامته — واستخلف على الجيش (بشير بن الخصاصية) ، والتحقت

---

(٧) العقد الفريد — ابن عبد ربه — ج١ ، ص ١٥٣ — ١٥٥ .

وحدات هذا الجيش بقوات (سعد بن ابي وقاص) ـ الذي انتهت اليه رئاسة الجيوش العربية في العراق ، وقد التفت حوله القبائل العربية وامراؤها ، وامد الخليفة عمر (رض) سعدا بامداد آخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفا ، وقيل ستة وثلاثون .. وكتب عمر (رض) الى سعد ان يجعل الامراء على القبائل المقاتلة ، وينظم وحدات وفعاليات الجيش وفق أحدث وسائل التنظيم ، والتعبئة العسكرية في حينه ، وامره ان يكتب اليه بجميع احوالهم وتفاصيلها ، « كيف ينزلون ، واين يكون منهم عدوهم » الى حد كان يريد فيه ان يكون في الصورة تماما ، وقد كتب اليه بهذا المعنى :

« واجعلني بكتبك كأني انظر اليكم ، واجعلني من امركم على الجلية ..»(٨) .

---

(٨) البداية والنهاية، ابن كثير، مجلد ٧، ص٣٧.

وقد التزم سعد بذلك فكان يواصل الخليفة بوصف جزل ودقيق بكل دقائق الامور ، مع تفصيلات وافية عن المنازل والاراضي التي يمرون بها حتى كأنه يشاهدها ..

ولما بلغ سعد (العذيب)(٩) اعترض المسلمين جيش للفرس بقيادة (شيرزاذ بن اراذويه) فغنموا منه كثيرا ووقع منهم موقعا كبيرا ، فخمسها سعد وقسم اربعة اخماسها في الناس الذين استبشروا بذلك وتفاءلوا بالنصر الكبير القادم ، ثم افرد سعد سرية لتكون حياطة لمن معهم من النساء وجعل على هذه السرية (غالب بن

---

(٩) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثه ، بينه وبين القادسية اربعة اميال ، والى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا ، وقيل هو واد لبني تميم ، وهو من منازل حاج الكوفة ، وكانت مسلحة للفرس / معجم البلدان / ياقوت الحموي ، مجلد ٣ ص ٩٢ .

عبدالله الليثي) ، وواصل سعد تقدمه فوصل القادسية واقام بها شهرا ولم ير احدا من الفرس فكتب الى الخليفة بذلك والسرايا تأتي اليه بالميرة من كل مكان ، الامر الذي عجت معه رعايا الفرس من اطراف بلادهم الى ملكهم (يزدجرد) يحملون معهم كل غيظهم وحقدهم على العرب ويتوعدونهم بالحرب ، واجتمع أمر الفرس على ارسال جيوشهم بقيادة (رستم) لمواجهة الجيوش العربيـــة وبعث « سعد » كاشفا ـ الى الحـيرة والى (صلوبا) ، مستطلعا أخبار الفرس فأتـاه الخبر بأن ملك الفرس قد امر على الحرب (رستم بن الفرخزاذ الارمني) وأيده بالجند فكتب سـعد الى الخليفة عمر (رض) بذلك وكتب اليـه عمر (رض) مشددا عزيمته :

« لا يكربنك ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث اليهم رجالا

من أهل النظر والرأي والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجا عليهم .. » .

وهكذا فقـد كانت الدعوة الى السلم والتفاهم بالاقتدار والحكمة التي تضع الامور في نصابها الصحيح ـ هي السابقة دائما للحرب التي اندفع اليها العرب مرغمين بعد ان استنفدوا كل الوسائل السلمية المشروعة ـ لاعتراف الفرس بالحقوق المشروعة لقضيتهم في تحرير الارض والانسان من نير الاستعباد والطغيان الفارسي المجوسي وتحكمه بمصائر شعب العراق العربي طوال فترة طويلة .

وكانت معركة القادسية بكل فصولهـا وماجرياتها تجسد التعبير الكامل عن الاهداف المعلنة لرسالة كبرى حمل العرب اوزارهـا واندفعوا باخلاص ويقين وحماسة لنشر مبادئها على الارض العربية ، والتبشير بها الى العالم

جميعا ، وبالنظر لتعارض اهداف ومباديء هذه الرسالة في اصولها الحيوية مع وجود كيانات استعبادية ودخيلة وذات معتقدات متناقضة مع مباديء الشريعة الاسلامية ورسالتها السمحاء فقد كانت المواجهة مع هذه الكيانات والقوى الدخيلة والمستأثرة بمصالح اجزاء من الوطن العربي حتمية ولا مناص منها ، وبذلك فقد كانت الحرب مع الفرس تمثل حالة مبدئية للصراع والمواجهة الحتمية مع مجوسية الفرس ونواياهم العدوانية ، وقد حفلت معركة القادسية بالكثير من المعالم والمآثر الخالدة للعرب اثبتوا من خلالها قدرتهم على التعامل بفعالية واقتدار مع خصومهم بكل ما يملكونه من وسائل وفنون في المواجهة النفسية والعسكرية في آن واحد يمكن أن نتمثلها في الوقائع التالية :

اولا — حاول الجانب الفارسي التأثير

معنويا على المسلمين من خلال دعواته المتكررة لاستقبال المبعوثين من العرب المسلمين واستظهار موقف القوة معهم بالتشدد معهم في القول ، واستعراض القوى العسكرية امامهم ، وكذلك محاولة التعرف على النوايا واتجاهات المخطط العربي الاسلامي في الحرب من خلال المناقشة والمحاججة ، والتركيز في هذا الجانب على اظهار كون العراق بلدا فارسيا وبكون العرب — جيران الفرس — ! ، والاغراء بمنح سادات العرب واعيانهم الاموال والامتيازات الخاصة لغرض التوصل الى تأمين انسحاب القوات العربية من المواقع المحررة ، والهاء العرب باطالة مدة التفاوض لغرض انهاكهم .. والتأثير على معنوياتهم مقابل تأمين وصول امدادات اضافية للقوات الفارسية واعادة تنظيم صفوفها .. ذلك ان رستم طاول سعدا باللقاء حتى كان بين خروجه من المدائن

ولقائه بسعد في القادسية اربعة اشهر ، هذا فيما كان (رستم) يقابل مبعوث العرب المسلمين (المغيرة بن شعبة) بقوله :

« انكم جيراننا ، وكنا نحسن اليكم،ونكف الاذى عنكم ، فارجعوا الى بلادكم •• ولا نمنع تجارتكم من الدخول الى بلادنا ••!! » •

وكان الموقف العربي تجاه ذلك يتمثل بالاصرار الثابت على التمسك بالمبادىء والمثل العليا التي آمن بها العرب في ظل الاسلام بعيدا عن اغراض الدنيا الزائلة ، وبذلك فقد أتى الجواب الفرس بما يكفي لتوضيح هذه الحقيقة واجلائها ناصعة بدون لبس او غموض، ودونما قبول منهم بأي شكل من المساومة على حساب هذه المبادىء فكان قول المغيرة •• لرستم بهذا المعنى قولا بليغا :

« •• انا ليس طلبنا الدنيا ، وانما همنا

وطلبنا الآخرة وقد بعث الله الينا رسولا قال له : اني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني، فانا منتقم بهم منهم ، واجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به ، وهو دين الحق ، لا يرغب عنه احد الا ذل ، ولا يعتصم به الا عز •• » •

ويمضي المغيرة في القول موضحا جوانب من المبادىء الانسانية التي جاءت بها رسالة الاسلام والتي منها :

« •• اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله ، والناس بنو آدم ، فهم أخوة لاب وام •• » •

وبمثل ذلك القول ، اوضح للفرس (طليحة الاسدي) وسواه من مبعوثي العرب المسلمين، محققين في مناظراتهم معهم وظيفة اعلامية هامة في ابلاغ وتوضيح معالم ومنطلقات الرسالة الاسلامية ومراميها السامية في تحرير الانسان من

الوان الاساطيروالا وهام ، والاستعباد الانساني .

إضافة لذلك فأن السفراء العرب رسموا بهيئاتهم ومظاهرهم البسيطة ، وبتجردهم الكامل عن المظاهر الزائفة وعدم انجرارهم لأغراءات القيادة الفارسية المتلبسة بكل مظاهر البذخ والأسراف ـ صورةواضحة لتشبّع العرب بمبادىء رسالتهم السماوية وانسجامهم التام مع احكامها ـ ومطالبها ، حيث كانت المبادىء ترتسم صورها الحية والمعبرة عن سلوكية العربي المؤمن بحق بالاسلام من خلال ذلك التطابق والانسجام والتفاعل ما بين العربي ومبادئه ، ومن بعض ادلة ذلك ان (ربعي بن عامر) دخل على رستم مبعوثاً من جانب العرب بثياب صفيقة ، وسيف وترس ، وفرس قصيرة لم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل فربطها ببعض تلك الوسائد واقبل على رستم ، وقد زينوا له مجلسه ، وكان يجلس

على سرير من ذهب وحوله النمارق المذهبة والزرابي الحرير ، والياقوت واللؤلؤ وعليه تاجه . فقالوا له : « ضع سلاحك .. » فقال : « إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني فأن تركتموني هكذا والا رجعت ..»[10]

فقال رستم : « ائذنوا له .. » فاقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا له :

« ما جاء بكم .. ؟ » ، فقال « الله إبتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، فارسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه ابدا حتى نفضي الى موعود الله .. »

قالوا : « وما موعود الله .. ؟ »

---

(١٠) ابن كثير ـ ص ٣٩ .

قال « الجنة لمن مات على قتال من ابى ، والظفر لمن بقي •• »(11)

وحاول رستم ازاء هذا الموقف من ذلك العربي أن يماطل ويساوم عله يحصل على غاية تخدم موقف قومه فقال : « قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ » قال ربعي : نعم : كم احب اليكم ؟ يوماً أو يومين ؟ قال : لا بل حتى نكاتب اهل رأينا ورؤساء قومنا •• »

عندها فطن ربعي لحيلة رستم وما يبيت من الأمر لأطالة أمد التفاوض ، فأجاب بلهجة جادة وحاسمة منطلقا بها من مبادىء رسالة الأسلام :

« ما سن لنا رسول الله من أن نؤخر الأعداء عند اللقاء اكثر من ثلاث ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل •• »

---

(11) ابن كثير •• ص ٧٩ .

وذهل رستم لذلك الموقف من ربعي وخيّل اليه أن هذا الرجل الذي يملك صلاحية إتخاذ القرار الجريء في حينه لابد أن يكون له شأن في العرب فتوجه بالقول له :

« :سيدهم انت •• » ؟ ! ، فابتدره ربعي بالقول السديد :

لا ، ولكن المسلمون كالجسد الواحد ، يجير ادناهم على أعلاهم •• »

فعجب رستم والتفت الى قومه نيقول لهم :

«هل رأيتم قط أعز وارجح من كلام هذا••»!

وقام يؤنبهم على إستخفافهم بثياب هذا الرجل العربي ومظهره بقوله :

« ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب •• » .

وبعد أن يئس الجانب الفارسي من أخـذ العرب بالسياسة والدهاء لحملهم على التراجع وعدم المضي في اداء رسالتهم وبعد ان استقدموا عـدة مبعوثين من العرب لهذا الغرض فانهم لجأوا إلى إستخدام إسلوب التهديد باستعمال القوة والتنكيل بالعرب ، وقد تجلى ذلك آخر الأمر عندما فاوض (المغيرة بن شعبة) رستما وتكلم عنده بكلام طويل اكد خلاله التزام العرب المطلق بالمضي قدماً لانتزاع الحق العربي واعلاء كلمة الأسلام في ارض العراق فاستشاط رستم غضبا واقسم بالشمس: «لأقتلنكم جميعاً غداً .. » !

ثم ان رستم عاد ليغري اعيان العرب بسفاسف الدنيا فقال للمغيرة :

« قد أمرت لكم بكسوة ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب .. وتنصرفون عنا .. » .

فابى المغيرة واستنكر هذا الأمر قائلاً بغضب:

« أبعد أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم ، ولنا مدة نحو بلادكم ونأخـذ الجزية منكم عن يـد وانتم صاغرون ، وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم ..» .

هذا وكان القائد سعد بن أبي وقاص قبل أن ـ يتبدر المسلمون الى قتـال الفرس قـد بعث إستكمالا للجهد السياسي المبذول ، وانسجاماً مع مبدأ الدعوة للحق بالتي هي أحسن ـ الى كسرى بطائفة من اصحابه يدعونه الى الله ، فاستأذنوا عليه فأذن لهم ـ ، وخرج أهل البلد ينظرون الى اشكالهم وارديتهم على عواتقهم وسياطهم بايديهم والنعال في ارجلهم ، وخيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بارجلها ـ وجعلوا ـ كما يذكر ابن كثير ـ : « يتعجبون منها غاية العجب ، كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عَددها وعُددها..»(١٣)

وقد كان كسرى متكبراً قليل الأدب ، وقد

(١٢) البداية والنهاية ـ المصدر السابق . ص ٤١ .

بدت عليه مع رسل العرب المسلمين تصرفات لا تليق باصول ، استقبال المبعوثين ، حيث بدأ يسألهم متندراً عن ملابسهم، والأردية، والنعل والسياط .. وهم ينظرون إليه بشموخ وأنفة ، ثم قال لهم :

« ماالذي أقدمكم هذه البلاد ..؟ اظننتم إنا لما تشاغلنا بانفسنا إجترأتم علينا .. » ! ، فأجابه « النعمان بن مقرن » موضحاً له جانبا من حقيقة الرسالة الأسلامية :

« .. إن الله رحمنا فارسل الينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة .فلم يدع الى ذلك قبيلة إلا ـ صاروا فرقتين ، فرقة تقاربه ، وفرقة تباعده ولايدخل معه في دينه إلا الخواص ، فمكث كذلك ما شاء الله ان يمكث، ثم أمر ان ينهد الى من خالفه من العرب ويبدأ بهم ، ففعل ـ فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكروه عليه فاغتبط، وطائع

إياه فازداد، فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، وأمرنا ان نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم الى الأنصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين الاسلام حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فأن ابيتم فامر من الشر هو اهون من آخر شر منه الجزاء، فان ابيتم فالمناجزة. وان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على ان تحكموا باحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وان آتيتمونا بالجزى قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم .. »

فبهر يزدجرد وعلاه الغضب ولم يكن ليجرأ أحد غير ذلك العربي يومذاك ليتكلم عنده بمثل الذي قال من ذلك القول الفصل ، وبتلك الجرأة .. فقال وقد إستثارته الحمية بالأثم وأخذه الغرور :

« .. إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى

ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم ، لاتغزوكم فارس ولاتطمعون ان تقوموالهم . فان كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا ، وان كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً الى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم .. » !

فقام إليه (المغيرة بن شعبة) ليقول له بما كان ينبغي أن يتعظ به وقومه :

« إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً .. »

ووصف له حال العرب قبل الاسلام ، وجانباً من تعاليم الأسلام واهدافه ثم خلص الى عرض نتيجة بما جاء به اليه العرب المسلمون بقوله لكسرى :

« .. فاختر إن شئت الجزية وانت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجي نفسك.. » .

فأغتاظ يزدجرد من ذلك الموقف الجريء من المغيرة قائلاً له :

« اتستقبلني بمثل هـذا .. » ؟ فاجابه المغيرة .. متحدياً باسم العرب جبروت كسرى :

« .. ما استقبلت إلا من كلمني ، ولـو كلمني غيرك لم استقبلك به .. » فقال كسرى :

« لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكم .. » .

ثم ان كسرى استباح لنفسه مايؤذي به رسل العرب وينتقص منهم ، فأمر فأتى له بوفر من تراب ، وقال : احملوه على اشرف هؤلاء .. ثم سوقوه حتى يخرج من ابيات المدائن .. » والتفت الى الرسل وقال لهم مهدداً بلهجة استعمارية :

« ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه اني مرسل إليه رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد ، ثم أورده (بلادكم) !!، حتى اشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور .. » .

وكان للمبعوثين العرب عند كسرى بعد ذلك

موقف رائع في الايثار والتضحية ، حيث سأل كسرى ان يعلموه عن أشرفهم ليحملوه التراب في عنقه نكاية ، فابتدر احدهم وهو : « عاصم بن عمرو» وقد افتات ليأخذ التراب : «أنا أشرفهم••» مضحياً بذلك القدر من تحمل ذلك اللدن من - القسوة والمهانة اكراماً لشرف المهمة التي قدم اليها ، وليدفع عن أشراف قومه ذلك الوزر في تحمله عنهم ، وقد وقف جماعته الى جانبه ليؤيدوا كونه شرفهم ، فحمل التراب على عنقه وخرج به من الايوان والدار حتى اتى راحلته مخملة عليها ثم إنجذب بالسير ليأتوا به سعداً ، وسبقهم عاصم فمر بباب قديس فطواه وقال : « بشروا الأمير بالظفر •• » وجعل التراب في الحجر ورجع فدخل على سعد واخبره الخبر فقال سعد :

« إبشروا فقد والله اعطانا الله مقاليد ملكهم وتفاءلوا بذلك اخذ بلادهم •• »

ثانيا : إستخدم العرب في قتالهم مع الفرس في معركة القادسية الواناً من فنون الحرب ، وابتدعوا من الوسائل ما مكنهم من الانتصار على عدوهم الذي يفوقهم في العدد والعدة مضافا الى ذلك التفاعل الحي الخلاق بين القيادة وجمهور المقاتلين ، والذي جسد من خلاله امراء الحرب العرب أصدق صور التفاني والاستبسال والاندفاع في مقدمة طلائع المقاتلين ، حتى كانت الشهادة من نصيب القائدين العظيمين « ابا عبيد بن مسعود » و « المثنى بن حارثة الشيباني » في المعارك الجانبية قبل وقعة القادسية ، فيما كان القائد الهمام «سعد ابن ابي وقاص » يدير دفة القتال في معارك القادسية على نحو مباشر على الرغم من أنه كان مصابا بعرق النسا ودمامل في جسده لا يستطيع معها الركوب ، وكان يتابع الحرب في مقصورة وهو متكيء على صدره فوق وسادة ينظر الى

الجيش ويدبر امره وهو معهم في الميدان ، وقد أوكل أمر الحرب الى (خالد بن عرفطة) ، فيما جعل على الميمنة (جرير بن عبدالله البجلي) ، وعلى الميسرة (قيس بن مكشوح) ، وكان قيس والمغيرة ابن شعبة قد قدما على سعد مددا من عند ابي عبيدة من الشام بعدما شهدا وقعة اليرموك .

وتميزت تشكيلات الوحدات العربية المقاتلة بأحسن انواع التنظيم والاعداد ، حيث جرى تعيين الامراء على القبائل المقاتلة ونظم المقاتلون عسكريا واداريا ، فتم تعيين (عريف) على كل عشرة مقاتلين ، وقسم الجيش الى الطلائع ، والمقدمات ، والمجنبات ، والساقات ، والرجالة ، والركبان ، وعين (زهرة بن عبدالله بن قتادة) على المقدمة ، وعلى الساقة (عاصم بن عمرو التميمي)، وعلى الطلائع (سوار بن مالك التميمي) ، وعلى المجردة (سلمان بن ربيعة الباهلي) ، وعلى الرجالة

(جمال بن مالك الاسدي) ، وعلى الركبان (عبدالله بن ذي السهمين) ، كما عين على الشؤون العامة الاخرى للناس — فجعل على القضاء والريادة وشؤون الدعوة (سلمان الفارسي) ، واحال الكتابة الى (زياد بن ابيه)[١٣] .

وجرى تنظيم وحدات الاستطلاع الحربي وتدريب واعداد وحدات الاقتحام ، وحرص القائد سعد أن يحيط بمعلومات وافية عن أوضاع الجيش الفارسي قبل مباداتهم بالقتال ، فبعث بسرية لتأتيه برجل من معسكر الفرس وكان في السرية (طليحة الاسدي) وقد تخطى هذا الرجل الالوف من رجال الفرس وقتل جماعة من مقاتليهم حتى أسر احدهم وجاء به الى قائده (سعد) فجعل يستجوبه والرجل يصف له شجاعة طليحة ، فقال له : « دعنا من هذا واخبرنا عن رستم » ، فقال : «هو في مائة

(١٣) الكامل في التاريخ — ابن الاثير — ص٤١٢ .

الف وعشرين الف ويتبعها مثلها •• » ، ثم اسلم هذا الرجل لفرط اعجابه بشجاعة المسلمين وشهامتهم وسماحة مبادىء دينهم ••

وعند اشتداد الحرب في لقاء العرب المباشر مع جيوش الفرس قاسى العرب من الفيلة بسبب نفرة خيولهم منها ، وصدر على الفور البلاغ للمسلمين بأبادة الفيلة ومن عليها ، فتم ذلك ثم قلعوا عيونها ، فتعطل بذلك دورها تماما ، وفسح المجال لاندفاعة الخيول العربية نحو العدو تعلوها هامات الرجال السمر وهي تشق باليقين الثابت والعزيمة المتقدة طريقها نحو النصر ••

ولقد ابلى المقاتلون العرب في معركة التحرير الكبرى في القادسية بلاء حسنا في مواجهة عنيفة وقاسية استمر فيها القتال أربعة أيام بلياليها كان من أشدها ما كان في الليلة الثالثة والتي دعيت بـ (ليلة الهرير) وفيها ابلى شجعان العرب من امثال

(طليحة الاسدي ، وعمرو بن معدي كرب ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبدالله البجلي ، وضرار بن الخطاب ، وخالد بن عرفطة •• واضرابهم ••) ، بلاء رائعا دفاعا عن قيمهم وارضهم العربية المقدسة ••، وقد ابتدأ الحرب سعدا بعد ان صلى بالناس الظهر من يوم الجمعة من محرم الحرام سنة (١٤) للهجرة وتلى قوله تعالى :

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون •• »

ثم قرأ ايات الجهاد وسورة وكبر أربعا وحمل والمسلمون معه من بعد الرابعة من عصر ذلك اليوم ••

وانتهت الواقعة العظيمة بالنصر المبين للعرب المسلمين على اعدائهم الفرس المجوس عند الزوال من يوم الاثنين من المحرم ، حيث رفع العرب بنضالهم البطولي خيام الفرس والقوا بسرير رستم

وطيارته بعد أن ألقى بنفسه في الماء بعد ان ركب بغلته يطلب النجاة فقتلوه شر قتلة ، وكان ممن قتل مع رستم (الجالينوس) مقدم الطلائع الفارسية وانهزمت فلول الفرس ولحقهم العرب المسلمون في اقفائهم وغنم المسلمون من معركتهم الباسلة هذه النصر والعزة والسيادة بعد ان تم تطهير ارض العراق من رجس المجوسية الفارسية، وكان العرب المسلمون في هذه الحرب كما عبر عنهم قائدهم المظفر « سعد بن ابي وقاص » في كتابه للخليفة عمر (رض) :

« يدوون بالقرآن اذا جن عليهم الليل كدوي النحل وهم آساد في النهار لا تشبههم الاسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقي الا بفضل الشهادة اذا لم تكتب لهم •• » •

وفي هذه الحرب الخالدة التزم العرب بكل اصول ومعايير الشهامة والخلق الرفيع في التعامل

مع خصومهم وكانت وصية عمر للمقاتلين في القادسية تعد مأثرة رائعة لاخلاقية العرب والتزامهم بالاعتبارات الانسانية في الحرب وقد جاء فيها :

فمتى لاعب احد منكم احداً من العجم بأمان او بأشارة أو بلسان كان عندهم أمانا فاجروا ذلك مجرى الامان والوفاء ، فان الخطأ بالوفاء بقيه ، وان الخطأ بالغدر هلكه ، وفيها وهنكم وقوة عدوكم •• »(١٤) •

وكان الخليفة عمر (رض) يتنسم بشغف أنباء القتال في القادسية فيلتقي بالركبان الغادين من ارض العراق فيستمع اليهم دون أن يكتفي بما كان يوافيه به قائد حملة التحرير سعد بن ابي وقاص من أخبار القتال ، وقد لا يدرك البعض من يكون، حتى ان عمرا (رض) استعجل خبر البشارة بالنصر من مخبر لقيه على اطراف المدينة وهو يمشي على

---

(١٤) ابن الاثير .

راحلته وكان يقول : « فتح الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائم كثيرة .. » فسار الخليفة عمر (رض) الى جانبه وهو ماش تحت راحلتـه يستطلع منه جلية الامر حتى اقتربا من المدينة وجعل الناس يحيون عمرا بالامارة فعرفه الرجل وقال :

« يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني انك الخليفة .. » ؟ ، فقال (رض) : « لا حرج عليك يا اخي .. » !

ومضى الخليفة عمر لما قرأ بعد ذلك كتاب (سعد) ببشارة النصر تعمر قلبه الكبير فرحة الامة باسرها بالنصر المبين ، صعد على المنبر فقرأ على الناس البشارة وأتبع ذلك من القول ما يعد في سياق المبادىء التي حرص قادة العرب المسلمين على احترامها وتجسيدها عمليا من معالم النهج الديمقراطي الاشتراكي في الاسلام ، ومن معاني

الخلق الثوري الرفيع الذي كانت تتحلى به القيادة العربية المسلمة في تحمل المسؤولية الكاملة تجاه الوضع المادي والنفسي للجمهور ، ومما جاء في قول القائد الاكبر عمر :

« .. اني حريص على ان لا أرى حاجة الا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض ، فاذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف ، ولوددت انكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم ولست معلمكم الا بالعمل ، واني والله لست بملك فاستعبدكم ، ولكني عبدالله عرض علي الامانة فان ابيتها ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم وترووا سعدت بكم ، وان أنا حملتها واستتبعتكم الى بيتي شقيت بكم ففرحت قليلا وحزنت طويلا ، فبقيت لا أقال ولا أرد فاستعتب .. »

قومية المعركة

لقد كانت معارك التحرير العربية ، ومن بينها (معركة القادسية) في كل فصولها ومشاهدها النضالية حلقات متتابعة ومترابطة للحركة الاجمالية لمسيرة النضال القومي للامة العربية — التي كانت تتحفز وتتوثب بقدر يتناسب وحجم ومظاهر التحدي الماثل ، وعلى نحو متفاوت في القوة والتأثير ، .. وكانت « معركة القادسية » — ولم تزل — تمثل التعبير الذاتي للمشاعر القومية ، وتعبر بما فيه الكفاية عن روح التواصل القومي لدى الانسان العربي حيثما كان ، ذلك ان الانسان العربي رغم كل الظروف والعوامل التي كانت تطبع حياته — في بعض أوجهها — بالنزعة الذاتية — كان

يجد نفسه دائما في خضم الصراع وعند المواقف التي تهدد مصير أمته منساقا الى التفاعل مع أحداث هذا الصراع متجاوزا نظرته الذاتية ، ومتخطيا كل ارتباطاته النسبية والقبلية الضيقة ليذوب وينصهر في انتسابه الاكبر لامته التي يجد فيها التعبير الاصيل والحي عن وجوده الانساني والقومي ، وقد وجدت هذه الحالة تعبيرها الواقعي الحي لدى العرب فيما قبل الاسلام ، وتمثلت بشكل خاص في وقفتهم جميعا بوجه (ابرهة الحبشي) حين عزم على هدم الكعبة بعد أن عجز عن تحويل قلوب وأهواء العرب عن كعبتهم المقدسة والتي تمثل فيها وحدة قلوبهم واهوائهم ، كما تمثل ذلك ايضا في « واقعة ذي قار » الشهيرة والتي انتفض فيها العرب محمولين بدوافع قومية للانتصار لشرف امتهم من خلال الانتصار للنعمان بن المنذر — الذي اراد الفرس الانتقاص من كرامته ، وبالتالي الانتقاص من كرامة الانسان العربي ..

ثم وجد ذلك الشعور القومي المتأجج مكانته في قلوب العرب في الاسلام ولم تنتقص منه المبادىء الاسلامية بسعتها وشموليتها الانسانية ، بل ان الاسلام فجر في العرب روحهم القومية والانسانية معا وسار بهم في الطريق الذي يفتت روابطهم القبلية والاقليمية الضيقة ليصنع لهم كيانا قوميا وانسانيا رحبا يسع بهم كل الارض ويسعون به الدنيا كلها بقيمهم ومثلهم العليا الرفيعة .

.. كانت « القادسية » في الاسلام تفجيرا — جديدا للروح العربية المتوثبة والمنضبطة بقواعد الخلق الانساني السامي ، وتحفيزا لهم للارتقاء الى مستوى النهوض بمسؤولياتهم في تحرير ارضهم من ربقة الغزاة — والمستعبدين ..

ووجدت التوجهات والروح الوحدوية تعبيراتها الحية في القادسية ، في طبيعة تشكيل الجيش العربي الاسلامي المقاتل فيها ، حيث كان

هذا الجيش يضم وحدات مقاتلة من المهاجرين — من عرب الجزيرة العربية ، ومن عرب اليمن ، ومن عرب الشام ، والعراق .. كانوا جميعا يقاتلون تحت راية عربية واحدة ، ويتوجهون باتجاه عدو واحد هو نفسه العدو الذي اشتركوا في مقاتلته في « ذي قار » والمعارك الجانبية الاخرى قبل القادسية .. ذلك أن الخليفة عمر وهو في الحجة كان قد دعا الى التعبئة العربية الشاملة لحرب القادسية فأوعز الى عماله على العرب جميعا : ان لا يدعوا من له نجدة أو فرس او سلاح أو رأي الا وجهوه اليه ، فاما من كان على النصف بين المدينة والعراق فجاء اليه بالمدينة لما عاد من الحج، وأما من كان أقرب الى العراق فانضم الى (المثنى ابن حارثة)[١] وبذلك جاءته امداد العرب تترى .

---

(١) الفتوحات الاسلامية — احمد زيني دحلان ج١ — ص٢٦ ، ص ٩٣ .

وكان للكثير من المقاتلين في القادسية دورتهم القتالية في ارجاء مختلفة من الارض العربية ، حيث ان (خالد بن الوليد) كان قد كلف بمهمة انهاء الردة في ـ اليمامة ـ ولما تم له تصفية الحساب مع (مسيلمة الكذاب) سار الى العراق بأمر الخليفة ابي بكر الصديق (رض) من اليمامة مباشرة فاحتل الحيرة والابلة ثم أمده ابو بكر بالمثنى بن حارثة ومن معه من المقاتلين واستمر خالد بالزحف محررا اجزاء اخرى من أرض العراق كالانبار ، وعين التمر ، ثم دومة الجندل حيث كانت الواقعة المشهورة له مع الفرس ، ومن المعلوم ان الفرس اغاروا عدة مرات على مواقع المسلمين في الحيرة ودومة الجندل فلم يفلحوا ومنوا بالهزيمة ، ثم سار خالد الى (الفراض) ـ وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة ـ وافطر فيها رمضان ، وتحالف الفرس مع اعداء العرب الاخرين

من الروم وبعض العناصر الممالئة لهم فاستعانوا بهم على العرب وساروا الى خالد واقتتلوا معه بالفراض قتالا شديدا انهزمت على اثره الروم ومن معهم ثم رجع خالد بعدها الحيرة[٢] ..

ويوضح الرئيس القائد المناضل صدام حسين ـ في معرض حديثه عن « القادسية » جانبا مهما من وقفة العرب القومية مع الفرس في العراق بالاشارة الى أنه : « قبل أن يأتي جيش المسلمين من الجزيرة ويصل الى العراق قاتل العراقيون الفرس بعروبتهم قبل أن يصبحوا مسلمين والكثير منهم كانوا مسيحيين ، وكانوا يعلمون عندما يهزمون جيش الفرس ويأتي جيش المسلمين فأن جيش المسلمين سيطلب منهم اعتناق الدين الاسلامي وفق المفاهيم التي وردت في القرآن ،

---

(٢) من حديث الرئيس القائد في (معسكر ابطال القادسية) للعمل الشعبي يوم ١٩٨٠/٨/١٩ .

ومع ذلك لم يضعوا أي حساب يثنيهم عن ابراز عروبتهم في مقاومة جيش الفرس ..» .

وفي الحقيقة فأن العرب المسيحيين قاتلوا الى جانب اخوانهم المسلمين بعد وصولهم العراق وكانت لهم في ذلك مواقف مشرفة في الانتصار لعروبتهم ، ومن ذلك ان (المثنى بن حارثة) لما انكسر المسلمون في (معركة الجسر) — كما مر — وبعث بالرسل للقبائل العربية لنجدته ، جاءه (انس ابن هلال النمري) في جمع عظيم من النمر نصارى وقالوا : « نقاتل مع قومنا .. » .. كما ان ابا زبيد الطائي) — وكان نصرانيا قاتل يوم الجسر ببسالة حمية للعربية وكان قد قدم الحيرة لبعض أمره[٣] ، فيما كان غلام نصراني من أهل تغلب قد جلب خيلا هو وجماعة من تغلب فلما رأوا القتال قاتلوا مع اخوانهم العرب المسلمين ..، وبذلك نجد

---

(٣) ابن الاثير .. ص ٤٣٩ — ٤٤٠ .

أن الولاء القومي قد حل مكان الولاء الطائفي والمذهبي ، وان كل الذين انتسبوا للاسلام او والوه من أهل الكتاب انما عبروا عن ولائهم للعروبة حيث كان الاسلام يمثل وثبة العروبة الى التحرر والانعتاق — كما يقول الاستاذ ميشيل عفلق — .

وكان من بين مظاهر الحماس والغيرة القومية التي استثارتها حروب المواجهة العربية مع الفرس ما روي من أنه : كان للفرس رابطة بقصرين عليهما « النعمان بن قبيصة الطائي » ، ابن عم قبيصة بن اياس — صاحب الحيرة ، ولما سمع هذا بمجيء سعد بن ابي وقاص ، سأل عنه وعنده — عبدالله ابن سنان بن خزيمة الاسدي — فقيل له : رجل من قريش ، فقال : « والله لاحادنه القتال .. فأن قريشا عبيد من غلب ، والله لا يخرجون من بلادهم الا بخفي حنين .. ! » فاستثار ذلك حمية عبدالله

ابن سنان فأمهله حتى دخل قبته فقتله ولحق بسعد وأسلم[٤] .

وكان (عبدالله بن محجن الثقفي) محتجزا في قصر سعد ـ لسبب خاص ـ فلما كان يوم ـ أغواث ـ وقد اشتدت فيه الحرب بين العرب والفرس ـ أخذته حميته العربية فطلب بالحاح من سلمى زوجة سعد بن ابي وقاص ان تخلي سبيله ليسهم بشرف القتال الى جانب اخوته العرب وان تعيره فرس سعد واعدا اياها ان يعود ان سلم من القتل ويضع رجليه ثانية في القيود ، فأجابته لذلك، وقد أبلى ابو محجن في الحرب بلاءا حسنا وقاتل قتال الابطال ثم رجع الى القصر ليلا ليعيد رجليه في القيود[٥] ..

ومن ذلك المنطلق القومي لحرب العرب مع اعدائهم الفرس نجد ان كل القبائل العربية في

(٤) ، (٥) ابن الاثير ص١٢٧ .

العراق اشتركت في القتال الى جانب قوات سعد في القادسية وما قبلها ، وكان ذلك يمثل بحد ذاته جانبا من شعور العرب جميعا بأن المعركة هي معركتهم ، ولا بد ان تكون لهم فيها وحدة الموقف والكلمة ، وان تكون لارادة « امير المؤمنين » ـ الذي كان هو القائد العام الاعلى للقوات المسلحة العربية الاسلامية ـ كلمته الفصل في ذلك بعد اقرار رأيه وتأييده من قبل مجلس الشورى ـ المتكون من اجلاء الصحابة ـ والذين كانوا يتمتعون بقدر عال من الاحترام والمهابة من قبل كل العرب ، فكان كل ايعاز يرد في أي موقع يأخذ مداه الكامل في التنفيذ ، حتى ان (خالد بن الوليد) قبل برحابة صدر ان يتنحى عن قيادة الجيش بعدأن عزله الخليفةابوبكر(رض) وابقاه علىشورى الحرب في غمرة اندفاعه وتحقيقه الانتصار في (معركة اليرموك) تنفيذا لامر الخليفة ونفذ بكل

دقة ايعاز الخليفة له بأن يترك العـراق ويستنيب عنه ليلتحق بالشام بعد ان اشتد الروم في قتالهم للعرب وان يتولى قيادة الجيش هناك بعد أن نفذ شطرا من مهمته في العراق ...، وهكذا نجد أن المقاتلين العـرب في كل مواقعهـم القتالية كانوا يعتبرون انفسهم جنودا مخلصين لمهامهم النضالية لا يحيدون عن طاعة رؤسائهم ولا يتبرمـون من تنفيذ أي ايعاز لهم لادراكهم بأن كل الاوامـر والايعازات التي يباشرها الخليفة ومن بعده الامراء وقادة الحرب انما كانت تنطلق من اعتبارات مبدئية تستند الى مصلحة الامة ، فقد حصل ان الخليفة عمر (رض) أمر طائفة من أهل المدينة للتوجه الى العراق بأمره (ابي عبيد بن مسعود الثقفي) ، ولم يكن صحابيا ـ فاعتـرض البعض قائلين لعمر :

« .. هلا أمرت عليهم رجلا من الصحابة .. » ؟

فاجابهم عمر مبررا سبب اختيار هذا الرجل لهذه المهمة بقوله :

انما أؤمر أول من استجاب .. مشيرا اياهم الى ان معايير سبقهم الناس انما كان: «بنصرة هذا الدين ، وان هذا هو الذي استجاب قبلكم .. » فسار معه المسلمون الى العراق مقرين له بالامارة.

ووجد العرب جميعا في الانتصار في معركة القادسية انتصارا لهم جميعا ، فما أن زف الخليفة عمر البشارة للناس من على منبره في المدينة حتى غمرت البهجة نفوس العرب في كل اقطارهم ، وقد ذكر مؤرخونا قسطا من الشواهد الحية الدالـة لما حل في ارجاء الوطن العربي من مظاهر الابتهاج والفرح العامر بهذا الحدث العظيم ، ومن بعض ذلك ما ذكره « الطبـري » في (تاريخ الامـم والملوك ..). ونصه الاتي :

« وكانت العرب توقع وقعة العرب وأهـل

فارس في القادسية فيما بين ـ العذيب الى عدن ـ أبين[٦] وفيما بين الابلة[٧] وأيلة[٨] ـ يرون ان ثبات ملكهم وزواله بها ، وكانت في كل بلدة مصيخة اليها تنظر ما يكون من أمرها حتى ان كان الرجل ليريد الامر فيقول لا أنظر فيه حتى انظر ما يكون من أمر القادسية فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فأتت بها ناسا من الانس فسبقت اخبار الانس اليهم ، قالوا فبدرت أمرأة ليلا على

---

(٦) أبين : موضع في جبل عدن ، ويقول الطبري: عدن وابين ابنا عدنان بن أدد / معجم البلدان/ ياقوت الحموي ، مج١ ص ٨٦ .

(٧) الابلة : بلدة على شاطيء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة/وهي اقدم من البصرة وكانت مدينة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد / معجم البلدان / ياقوت الحموي مجلد ١ ص ٧٧ .

(٨) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم . بما يلي الشام هي آخر الحجاز وأول الشام: معجم البلدان/الحموي مج١ ص ٢٩٢ .

جبل بصنعاء لا يدري من هي وهي تقول :

فحييت عنا عكرم ابنة خالد
وما خير زاد بالقليل المصرد
وحييت عني الشمس عند طلوعها
وحييت عني كل تاج مفرد
وحيتك عني عصبة نخعية
حسان الوجوه آمنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يضربون جنوده
بكل رقيق الشفرتين مهند
اذا ثوب الداعي أناخوا بكلكل
من الموت مسود الغباطل أجرد

وقالوا وسمع أهل اليمامة مجتازا يغني هذه الابيات :

وجدنا الاكرمين بني تميم
غداة الروع اكثرهم رجالا

هــوا ساروا بأرعن مكفهر
الـى لجب يرونهم رعــالا
بحـور للاكاسر مــن رجـال
كاســد الغاب تحسبهم جبــالا
تركــن لهم بقادس عــز فخر
وبالخيفــين ايامــا طــوالا
مقطعــة اكفهــم وســوق
بمـرد حيث قابلت الرجـالا(٩)

وقيل وسمع بمثل ذلك في عامة بلاد العرب .

---

(٩) ج٣ ص٦٩–٧٠ ، وروى مثل ذلك (ابن كثير في (البداية والنهاية) مج٧ ، ص ٤٦–٤٧ .

الشعر العربي ...
والمعركة

شذرات ..

لعب الشعر العربي ـ والذي كان يمثل أحد أبرز وسائل الأعلام والتعبئة الثورية ـ دوره المؤثر في إثارة العزائم واستنهاض الهمم ، واروع ماوصلنا من الشعر القتالي ذلك الرجز الذي نطق به المقاتلون في ساحة القتال ، والذي تلتمع كلماته مع التماع السيوف وتدمدم مع صهل الخيول لتتوهج بها النفوس حماسة وعزيمة تمضي بهم قدماً في إندفاع لاحدله نحو طلب الشهادة في سبيل الحق والواجب ، وفي القادسية كان للرجز القتالي وظيفته الخلاقة لدى المقاتلين الشجعان ،

وكان له تعبيره الحي عن ذلك التصميم والارادة المتوثبة المقتدرة في المواجهة .. فذلك «القعقاع ابن عمرو » المقاتل الباسل يقول وهو يمضي قدماً في جهاد العدو مفاخراً بما أبلى وقومه في الحرب :

نحن قتلنا معشراً وزائـدا
أربعـة وخمسـة وواحـدا
نحسب فوق اللبَّدَ الاساودا
حتى إذا ماتوا دعوت جاهدا
الله ربي واحترزت عامدا

ويقول القعقاع مفاخراً :

حضض قومي مضرجيُّ بن يعمرِ
فلله قومي حين هزوا العواليا
وماخام عنها يوم سارت جموعنا
لأهل قَدَيْس يمنعون المواليا

فان كنت قاتلت العـدو مللته
فاني لالقي في الحروب الدواهيا
فيولا أراهـا كالبيوت مُغيرة
اسمّل اعياناً لها وماقيا(١)

ثم ينطلق عمرو بن معـدي كرب ـ وكان من أبطال الجاهلية وفرسانها ، وقد ابلى في حرب القادسيـة احسن البلاء فيقول مجسـداً موقف البطولة في هذه الحرب :

والقادسية حين زاحم رستم
كنا لحماة مهن كالاشطان
الضاربين بكل ابيضَ مُخذَمٍ
والطاعنين مجامع الاضغان(٢)

فيما يقول ابو «محجن الثقفي» وقد أدى مهمته بشرف في الحرب بعد أن اطلق سراحه :

(١) تاريخ الامم والملوك ـ الطبري ـ ج٣ ، ص٦٧.
(٢و٣) تاريخ الادب العربي ، د. شوقي ضيف

لقد علمت ثقيف غير فخر
بأنا نحن اكرمهم سيوفا
فان أحبس فقد عرفوا بلاءي
وان اطلق اجراعهم حتوفا(٣)

ويقول «بشر بن ربيعة مصوراً بلاءه وقومه في القادسية :

تذكر هواك الله وقع سيوفنا
بباب قديسٍ والمكر عسير
عشية ود القوم لو أن بعضهم
يصار جناحي طائر فيطير
إذا مافرغنا من قراع كثيفة
دلفنا لأخرى كالجبال تسيرُ
ترى القوم فيها واجمين كأنهم
جمال باحمالٍ لهن نفيرُ

إما «قيس بن المكشوح» ـ وهو ابن اخت عمرو

ابن معدى كرب ـ فيقول موضحاً دوره في حرب القادسية مشيرا الى قتله رستم :

جلبت الخيل من صنعاء تردى
بكل مدجج كالليث سامي
إلى وادي القرى وزيار طلبٍ
الى اليرموك فالبلدِ الشامي
وجئن القادسية بعد شهرٍ
مسوقة ودابرها دوامي
فناهضنا هنالك جمع كسرى
وانباء الرازبة الكرام
فلما رأيت الخيل حالت ..
قصدت لموقف الملك الهمام
فأضرب رأسه فهوى صريعاً
بسيف لا أقل ولاكهامِ

وقد ابلى الاله هناك خيراً
وفعل الخير عند الله نامي (٤)

وانشد عمرو بن شأس مصوراً قتل رستم :

قتلنا رستما وبينه قسراً
تشد الخيل فوقهم الهيالا
وفر الهرمزان ولم يحامي
وكان على كتيبته وبالا (٥)

وهكذا فقد كان الشعر العربي في القادسية صورة حية معبرة بجلاء عن كل مواقف ومشاهد البطولة في تلك الواقعة الكبيرة ، يستطيع من خلالها المرء أن يستقري ويشهد الأحداث الجارية فيها وهي متلازمة ومتفاعلة مع كل الأحاسيس والمشاعر الصادقة في نفوس المقاتلين ليدرك بعدها أي نمط من البطولة الخارقة المقترنة بالايمان العميق

(٤و٥) تاريخ الادب العربي ، المصدر السابق ، ص ٦٣ ، ص ٦٤ .

بالقيم والمبادىء الأنسانية والقومية السامية تحققت فيها ، وأي مظهر من مظاهر الاعتداد والثقة العالية بالنفس كانت فيها الى الحد الذي تجاوز فيها العرب بامكانياتهم البشرية والمادية المحدودة كل مقاييس ومعايير الحرب المعتادة ليحققوا ذلك النصر ، الذي كان يمثل في جملة مشاعرهم وأحاسيسهم أنتصاراً لكرامتهم القومية ، وانتصاراً للقيم والمبادىء السامية التي ناضلوا طويلاً ، وقدموا التضحيات الجسام من أجلها ..

بين القادسية الاولى
وقادسية صدام حسين

ان بين قادسية العرب الاولى في منتصف العقد الثاني من القرن الاول الهجري ، «وقادسية صدام حسين» اليوم ـ والتي خاضت غمارها بشرف الطلائع المؤمنة بارادة الامة العربية في التحرير والسيادة على كامل اراضيها ومقدراتها القومية ـ اكثر من رابط من حيث الاهداف والغايات ... والنتائج ، بل هي تتواصل وتتلاقى عبر كل تلك الحقبات الطويلة من المآثر النضاليه للعرب وخلال اربعة عشر قرنا من بدء انطلاقتهم الكبرى في ظل الاسلام حد الانطباق ذلك ان الحقائق والعوامل الموضوعية التي حركت وفجرت

« قادسية العرب الاولى » وخصائصها وظروفها تتماثل الى حد بعيد مع العوامل والظروف التي فجرت « قادسية صدام حسين » اليوم حيث ـ كانت هذه المعركة بكل ابعادها ونتائجها تمثل تحدي الامة العربية للعدو الفارسي العنصري الذي تمادى في التجاوز على اجزاء من الارض العربية واثارة النعرات الطائفية والعنصرية في الوطن العربي مستغلا حالة التداعي والتراخي في الموقف العربي، والظروف التي يمر بها الوطن العربي ، فتمسك الحاكمون الجدد في ايران « بادعاءات الشاه حول فارسية الخليج وتمسكوا باحتلال الجزر الثلاث ، بل راحوا يطلقون التصريحات التي تدعي ان العراق واجزاء اخرى من المنطقة في البحرين فارسية ، وصاروا يحركون الجاليات الفارسية في بلدان الخليج العربي لخلق الاضطراب والبلبلة

فيها والتمهيد لابتلاعها الواحد بعد الآخر .. »[1]

ولم يكتف المعتدون الفرس من أحفاد المجوس بذلك القدر من التجاوز على ارادة وحقوق الامة العربية وسيادتها،بل بدأوا بسلسلة من الاعتداءات على المواقع الحدودية العراقية حيث شرعوا بقصف المخافر الحدودية ، ودفعهم غرورهم الى قصف المدن العراقية (خانقين وزرباطية) ومناطق زين القوس وسيف سعد بالمدفعية الثقيلة وقنابل الطائرات ، كما اغلقوا شط العرب بالنار .. مما دفع قيادة الثورة في القطر العراقي الى اعلان الحرب المقدسة على العدو العنصري الفارسي حيث صدرت الاوامر للوحدات المقاتلة منتصف شهر ايلول / ١٩٨٠ بالتصدي بقوة لعدوانه والاندفاع لتحرير الاجزاء المغتصبة من الاراضي العراقية بعد

---

(١) من خطاب السيد الرئيس القائد صدام حسين في ١٩٨٠/٩/٢٨ حول معارك التحرير.

ان تم توجيه ضربة جوية شاملة ومؤثرة لقواعد العدو في عمق اراضيه ، وكانت تلك البداية لدخول القطر العراقي بيسالة معركة الشرف العربي « معركة قادسية صدام حسين » ـ والتي كانت تستحضر باقتدار ووعي كامل في أهدافها ومنطلقاتها المبدئية ونتائجها الرائعة روح ومبادىء القادسية الاولى ، يوم كان الفرس المجوس يستأثرون بمقدرات ومصالح اجزاء من الارض العربية ويستهينون بكرامة ابنائها حتى كان للعرب معهم تلك المواقف البطولية الرائعة في (ذي قار) و (القادسية) التي وضعوا فيها حدا لتجاوزهم واستهتارهم بحق الامة العربية .

لقد كانت معركة القادسية الاولى تمثل جزءا من حركة النهوض العربي الشامل ابان فترة نضالية حافلة في التاريخ العربي بمآثر الاندفاع والبطولة لتحرير كل الارض العربية من النفوذ

والهيمنة الاستعمارية ، وكذلك كانت (معركة قادسية صدام حسين) في الحاضر تمثل في مراميها البعيدة البداية لحركة التحرير الشاملة لكل الاراضي العربية المحتلة ، وعنوانا لانتصار ارادة الانسان العربي ومقدرته على منازلة كل اعدائه ومستلبي حقوقه ، ويشير الرئيس القائد صدام حسين في هذا السياق الى التواصل النضالي التأريخي بين معركة الماضي والحاضر حين يخاطب المقاتلين في المعركة القومية بقوله :

« ... انكم والله تقاتلون نيابة عن التأريخ في ماضيه .. وفي حاضره .. ومستقبله ، لانكم تدافعون عن مجده وعن قيمه .. انكم تقاتلون كي ينهض العرب جميعا من غفوتهم ومهاتهم .. انكم تقاتلون بطريقة الفرسان من أجدادكم في صدر الرسالة ... »(٢) .

---

(٢) من كلمة التهنئة للرئيس القائد المناضل صدام حسين للمقاتلين بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك في ١٨/٩/١٩٨٠ .

ان الامة العربية كانت تحتاج بالظروف الحاضرة التي تمر بها الى نمط جديد ومتقدم من المعارك المصيرية الفاصلة كمعارك « القادسية ، واليرموك ، وحطين .. » بمثل شمولها وسعتها واندفاعة العرب جميعا للنهوض باعبائها ، وحيث كانت ظروف الامس وواقع الحال الذي كان عليه الوطن العربي من التشتت وتمزق الاوصال وهيمنة القوى الدخيلة على اجزاء منه ليست بأحسن حالا من ظروف الوطن العربي اليوم ، اذ كانت اجزاء من جنوب الجزيرة العربية تخضع لنفوذ الفرس ، كما كان ذلك حال العراق وبعض مناطق الخليج العربي ، فيما كانت بلاد الشام بكاملها تخضع لنير الاحتلال الروماني وكذلك كانت حال مصر ، اضافة الى ما كان يتحكم في الوطن العربي من الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية المتردية ، ثم نهض العرب في ظل الاسلام وقاموا قومتهم الكبرى متسلحين بسلاح الايمان والالتزام

الكامل بموجبات ومطالب الجهاد من أجل التحرير الشامل متخطين كل العوائق وكل الظروف في مواجهة عنيفة وقاسية مع اعتى واكبر الدول القائمة آنذاك (الامبراطوريتين الفارسية والرومانية) ولو كان العرب آنذاك مستصعبين او مستهولين امر تلك المواجهة ، ومستهينين بشأنهم وامكاناتهم المحدودة ازاء الامكانيات البشرية والمادية لاعدائهم لما استطاعوا ان يبلغوا ما بلغوا من روائع الانتصار وان يقتحموا ديار اعدائهم بمثل تلك الهيبة والجلال ، مرتقين بقلوبهم نحو السماء تلتمع سيوفهم في ارجاء الارض مسترخصين الحياة الذليلة حتى انساقت اليهم الحياة الكريمة في موقف متوازن وفعال في الحياة كانوا فيه : « يقرنون بين فوهة البندقية الناطقة بموقف الحق وبين القلم الناطق في العلم والحق ... » ـ كما يقول الرئيس القائد صدام حسين ، مؤكدا في

معرض حديثه عن الخصائص والمزايا القتالية النادرة في معركة القادسية الجديدة الى ان : احدا من العرب لم يقاتل منذ تلك المعارك الخالدة .. بمثل ما قاتل به رجال العرب اليوم ـ في واقع يماثل من حيث التفاوت في العدة والعدد ما كان بين العرب واعدائهم الفرس المجوس من قبل ، وفي ظروف يمتد فيها الاحتلال الاجنبي ليشمل اجزاء عدة من الوطن العربي ، فيما يشهد الوطن العربي حلفا غير مقدس بين كل اعداء الامة العربية ـ من استعماريين وصهاينة ، ورجعيين حاقدين ..

.. وكانت بين قادسية سعد بالامس وقادسية صدام حسين اليوم مآثر فذة للبطولة برزت خلالها مقاييس ومعايير خاصة اكتسب الجهد العسكري العربي ابانهما فعالية متميزة من حيث التأثير والقوة ، تجسد بشكل خاص في ذلك الطراز الفريد من القيادات المقاتلة التي تملك خاصية

استثمار وتوظيف القوى الاضافيـة الكامنـة في النفس العربية ، وتمثل ذلك في (قادسية العرب الاولـى) بموقف القائد (ابي عبيد بن مسعود) يوم معركة الجسر – كما اسلفنا ، كمـا تمثل في موقف المقاتل البطل (المثنى بن حارثة) حين قصد مكة يطلب مددا اضافية ليعاود قتال الفرس فلقي تلكأ من بعض القوم لدعوة الخليفة للذهاب للقتال مستهولين أمر اللقاء مع الفرس باعتبارهـم كانوا يمثلون قوة كبرى في المنطقة ، فكان قول المثنى مهونا عليهم أمر الفرس ومعتدا بمقدرة العرب على الحاق الهزيمة بهم هذه المرة كما فعلوا من قبل :

« ايها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فأنا قد فتحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير سقى السواد ، واجترأنا عليهـم ولنا ان شاء اللـه ما بعدهـا .. »(٣) .

---

(٣) الكامل في التاريخ – ابن الاثير ، ص ٤٣٣ .

وعندما قال احد الرجال في جيش المسلمين الزاحف نحو الشام :

« ما اكثر الروم واقل المسلمين .. ! ؟ » ، بعد اذهاله الحشد الضخم لقوات الروم ازاء عدد وعدة الجيش العربي الاسلامي ، واجهه القائـد العربي البطل « خالد بن الوليد » بحزم بالمقولـة الرائعـة :

« ما اكثر المسلمين واقل الروم ، انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان .. » .

وتجددت تلـك المواقف البطوليـة للقادة العرب في معارك الشرف والتحرير في (معركـة قادسية صـدام حسـين) حيث افرزت المسيرة النضالية في ساحة المواجهة الحازمة للعدو الفارسي بامكاناته وعدته البشرية والمادية المتفوقة – نمطا فريدا من القيادة جسدت كل معاني الايثار والبطولة والعزيمة المتقدة الوثابـة التي لم تعرف الملل او

الكلل ، والتي تابعت سير المعركة وشاركت فيها بجهدها النشيط وبعقلها المدبر لتصنع مع ذلك الانشداد والترابط العضوي الفعال بين كل المقاتلين بمختلف صنوفهم ومراتبهم وبين قيادتهم ملحمة النصر الكبير في مواجهة طويلة النفس ومقتدرة ، لعب فيها الايمان والعقيدة الثابتة برسالة هذه الأمة وحتمية انتصارها على كل اعدائها دوره الكبير في حشد وتعبئة الروح المعنوية العالية في نفوس المقاتلين الذين اندفعوا ببسالة لاقتحام مواقع اعدائهم الفرس ملقين في قلوبهم الرعب .. « يقتلون فريقا ويأسرون فريقا .. منهم ، وكان حقا على الله نصر المؤمنين » وقد وصف (ابو الشهيد) ـ قائد قوات القادسية ـ التي سيطرت في ملحمة بطولية على مدينة المحمرة ـ في برقية لبطل التحرير القومي القائد العام للقوات المسلحة المهيب الركن صدام حسين ـ مواقف البطولة لمقاتليه الابطال بقوله :

« .. لقد سطر ابناؤك ملحمة من ملاحم التاريخ التي سيذكرها ابناؤنا واجيالنا القادمة بالاعتزاز والاجلال .. لقد طرز مقاتلونا ارض المحمرة بدمائهم فكانت بحق معركة ابناء الرافدين التي ارادها الخميني الدجال ان تكون ستالينغراد الثانية وحولها ابطال العراق الى مقبرة للدجالين واحفاد المجوس .. » .

ان الدم الزكي الذي أهريق فروى ارض العراق في قادسيتهم الاولى ظل يغلي في دماء الاجيال العربية على امتداد الزمن ، وان معركة (قادسية صدام حسين) تنتسب في وقائعها واحداثها الجليلة لذلك الدم الفوار في تلك الواقعة العظيمة وستظل هذه المعركة رمزا شامخا من رموز النضال القومي المجيد كما كانت قاسية العرب الاولى ، وقد اندرست مع الزمن معالم ومعالم غطاها النسيان وطوتها صفحات التاريخ بسيل متدفق من الاحداث

التي مرت على هذه الامة ، بيد ان واقعة القادسية ظلت بين كل وقائع وسطور التاريخ تلتمع حروفها وظلت معالمها شاخصة الرؤى ، ظلت في قلوب العرب على هذه الارض يفخرون دائما بالرجوع اليها يستذكرون فيها مآثر النضال وعناوين الكفاح في ماضيهم التليد ، ويسترجعون من خلالها ما فتر من الهمم ووهن من العزائم ، فان « قادسية صدام حسين » ستظل تتجدد هي والقادسية الاولى كلما تجددت المطامع الفارسية وحيث تبقى آثار من الحقد والعداء الفارسي المجوسي لهذه الامة .

وان القطر العراقي لا يحمل اليوم اسم القادسية كاعظم رموز العرب والعرافيين فحسب بل « يحمل شرفها وروحها والاستعداد العالى كما هو شأن رجال القادسية الاوائل في تحرير الامة العربية وفي تحرير الوطن العربي كله ليس فقط في

المحافظة على العراق الحر الابي ، كما يؤكد الرئيس القائد الجسور صدام حسين ..

وبعد ذلك كله فان هذا القطر حمل في ملحمة قادسية صدام حسين شرف النضال دفاعا عن شرف الامة العربية ووجودها وقد عبرت فصول هذه الواقعة بما فيه الكفاية في المآثر البطولية التي قدمها المقاتلون الاشداء على ساحة المواجهة في الجبهة الشرقية للوطن العربي عن وفاء ثورة ابناء القادسية العظام للمبادىء العظيمة التي حملها أجدادهم الابطال وناضلوا ببسالة وشرف من اجلها ، كما انها اعادت بالاصرار والعزم والارادة الخلاقة امجاد القادسية الاولى ، ورسمت من جديد معالم الفجر الجديد المشرق لهذه الامة التي ستمضي بأذن الله قدما لترفع بشموخ راية العروبة والاسلام خفاقة على هذه الارض ولتمضي قدما في طريقها نحو تحرير كل الارض العربية من دنس

الغاصبين والمستعبدين ولتحمل الى الدنيا من جديد مشاعل الهدى والحق كما حملها من قبل العرب الامجاد وهو ما تطمح ثورة البعث اليوم لتحقيقه مستهدية بالماضي النضالي المشرق للامة عبر تاريخها المجيد الحافل بالعطاء والتضحيات .

ان الوثبة الشجاعة والاقدام في معركة قادسية صدام حسين تجسد ارادة الامة العربية واندفاعها لتحرير الاجزاء المستلبة من ارضها وتحكيم السيادة القومية عليها وتلقين العدو الدروس البليغة التي تضع حدا لاستهتاره بمصالح وحقوق الامة العربية واحترام ارادتها الحرة الكريمة ، وقد حدد الرئيس القائد المناضل صدام حسين بخطابه في ٢٨/٩/١٩٨٠ ــ المنطلقات الاساسية التي دفعت القطر العراقي الى خوض معركة المواجهة الحاسمة مع المحتلين الفرس بقوله:

« عندما خاض العراق هذه المعركة الشريفة

والباسلة كان ايمانه عميقا بأنه يدافع عن سيادة الامة العربية وشرفها وحقوقها .. ان ارض العراق ومياه العراق هي جزء من السيادة العربية والشرف العربي .. والعراق هو الجناح الشرقي للوطن العربي ، والذي يهدد سيادة العراق انما يهدد السيادة العربية باكملها .. وان الذي يغتصب جزءا من الوطن العربي في شرقه او مغربه او في قلبه او في أي طرف من اطرافه هو عدو يجب ردعه وتحرير الارض من قبضته لا فرق عندنا بين غاصب وغاصب .. » .

وهكذا فقد كانت (قادسية صدام حسين) تشتمل في منطلقاتها واهدافها الاساسية على بعد قومي شامل ، ولم تكن مسألة نزاع اقليمي بين القطر العراقي وايران ، وانما كانت محصلة لعدوان قائم على الارض والسيادة العربية ، وتهديد باستمرار هذا العدوان وامتداده لاجزاء اخرى من

الارض العربية ، وان وقفة العراق القومية وفي مثل هـذا الوقت وبكل هـذا الثقل الاستثنائي تمثل تحفيزا او تهيئة للامة العربية للاستعداد الكامل لخوض معركـة التحرير الكبرى لكل الاجـزاء العربية المغتصبة ومنازلة كل خصوم واعداء الامة العربية بالاقتدار والقوى والامكانات المتاحـة واللازمة للحفاظ على شرف ووجود هذه الامـة تماما كما كانت معركة القادسية الاولى ، واليرموك المدخل الاساسي لكل حروب التحرير العربية التي خاضها العرب المسلمون ببسالـة وضمن نظـرة وموقف مبدئي امتزجت فيه الارادة ، وغلى فيها الدم العربي ليروي ارض العراق الطاهرة ويخصبها بكل عوامل وعناصر العزيمة والاصرار لدى ابنائها الابطال الذين ظلوا كل الزمن ، وفي كل حقبات التاريخ يذكرون انهم ابناء هذه الامة البررة ، الذين يستحقون منها كل التضحيات وكل البـذل ،

مستهينين بكل اعباء ومطالب النضـال والكفاح المرير في سبيل اعلاء كلمتها والدفاع عن حقوقها ومطامحها .

وهكذا كان العراق محددا في ظل ثورتـه البعثية الجديدة ممثلا بامانة وصدق تلك الاماني والمطامح الكبيرة والنبيلة للامة العربيـة في بناء وحدتها وارادتها الفاعلة الخلاقة المقتدرة ، وخوض غمرات النضال المتواصل من اجل ذلك، وله الشرف انه حمل رايات الكفاح جنبا الى جنب مع كـل اخوانه العرب من اجل الحق والسيادة العربيـة مـرات عديدة ، وظل على الدوام سيفا ممشوقا يذب عن حمى الامة ويدفع عنها غوائل الشـر والعـدوان .

ان الامة العربية ستظل تذكر لقيادة الثورة في القطر العراقي ولفارسها الجسور الملهم مـن

جديد مأثرته الجديدة في الدفاع عن حقوقها ومصالحها الحيوية ووجودها الحر المستقل بوقفته الحاضرة في معركته الشريفة والباسلة في « قادسية صدام حسين » وسيسجل تاريخها النضالي الحافل بالمآثر المجيدة هذه الواقعة بحروف من نور ،كما سجل من قبل قادسية العرب الاولى .

بعض المعطيات والدروس :

من قادسية صدام حسين

لقد افرزت معركة (قادسية صدام حسين) جملة حقائق موضوعية ونتائج بالغة الاهمية كان من ابرزها :

(١) على صعيد النضال القومي ، الاسهام في الهاب وتحفيز المشاعر القومية في ابناء الامة العربية ، وتجديد الامل والثقة في نفوسهم في قدرة الطلائع القومية وقيادتها المخلصة لرسالة ولاهداف هذه الامة في التحرير والوحدة ــ على المضي قدما في طريق الانتصار على كل اعدائها وانتزاع كامل الحقوق المغتصبة ، حيث اثبتت وقائع هذه المعركة العظيمة بسالة المقاتل العربي وشجاعته النادرة ،

مستهينين بكل اعباء ومطالب النضال والكفاح المرير في سبيل اعلاء كلمتها والدفاع عن حقوقها ومطامحها .

وهكذا كان العراق محددا في ظل ثورته البعثية الجديدة ممثلا بامانة وصدق تلك الاماني والمطامح الكبيرة والنبيلة للامة العربية في بناء وحدتها وارادتها الفاعلة الخلاقة المقتدرة ، وخوض غمرات النضال المتواصل من اجل ذلك، وله الشرف انه حمل رايات الكفاح جنبا الى جنب مع كل اخوانه العرب من اجل الحق والسيادة العربية مرات عديدة ، وظل على الدوام سيفا ممشوقا يذب عن حمى الامة ويدفع عنها غوائل الشر والعدوان .

ان الامة العربية ستظل تذكر لقيادة الثورة في القطر العراقي ولفارسها الجسور الملهم من

وامتلاكه لفنون الحرب الحديثة ، مضافا لذلك روحه المعنوية العالية المستمدة من أيمانه العميق بعدالة قضيته ، وارتباطه الوثيق بارضه ووطنه ، فكانت (قادسية صدام حسين) بما حققته من تحرير لأجزاء مغتصبة من الارض العربية،وتحفيزها للهمم والعزائم ـ كما كانت معركة القادسية الاولى بحق تمثل المدخل الاساس للتوجه والاندفاع نحو تحرير بقية الاجزاء العربية المحتلة وازاحة النفوذ الاجنبي عنها والى الابد .. فكأن المقاتل العربي العراقي باندفاعته يقول للعرب ـ كما يشير القائد المناضل صدام حسين : « انهضوا لقد جاء زمن النهوض الا ترون كيف يتقدم العراقي ؟ ! ، الا ترون كيف يجاهد العراقي بسيفه ؟ ! ، بل وباسنانه عندما يكل السلاح لانتزاع حقه .. » .

(٢) ـ ان (قادسية صدام حسين) كشفت

جديد مأثرته الجديدة في الدفاع عن حقوقها ومصالحها الحيوية ووجودها الحر المستقل بوقفته الحاضرة في معركته الشريفة والباسلة في « قادسية صدام حسين » وسيسجل تاريخها النضالي الحافل بالمآثر المجيدة هذه الواقعة بحروف من نور ،كما سجل من قبل قادسية العرب الاولى .

بعض المعطيات والدروس :

من قادسية صدام حسين

لقد افرزت معركة (قادسية صدام حسين) جملة حقائق موضوعية ونتائج بالغة الاهمية كان من ابرزها :

(١) على صعيد النضال القومي ، الاسهام في الهاب وتحفيز المشاعر القومية في ابناء الامة العربية ، وتجديد الامل والثقة في نفوسهم في قدرة الطلائع القومية وقيادتها المخلصة لرسالة ولاهداف هذه الامة في التحرير والوحدة — على المضي قدما في طريق الانتصار على كل اعدائها وانتزاع كامل الحقوق المغتصبة ، حيث اثبتت وقائع هذه المعركة العظيمة بسالة المقاتل العربي وشجاعته النادرة ،

وامتلاكه لفنون الحرب الحديثة ، مضافا لذلك روحه المعنوية العالية المستمدة من أيمانه العميق بعدالة قضيته ، وارتباطه الوثيق بارضه ووطنه ، فكانت (قادسية صدام حسين) بما حققته من تحرير لأجزاء مغتصبة من الارض العربية،وتحفيزها للهمم والعزائم-كما كانت معركة القادسية الاولى بحق تمثل المدخل الاساس للتوجه والاندفاع نحو تحرير بقية الاجزاء العربية المحتلة وازاحة النفوذ الاجنبي عنها والى الابد .. فكأن المقاتل العربي العراقي باندفاعته يقول للعرب - كما يشير القائد المناضل صدام حسين : « انهضوا لقد جاء زمن النهوض الا ترون كيف يتقدم العراقي ؟ ! ، الا ترون كيف يجاهد العراقي بسيفه ؟ ! ، بل وباسنانه عندما يكل السلاح لانتزاع حقه .. » .

(٢) - ان (قادسية صدام حسين) كشفت

الاقنعة عن كل الوجوه المتسترة والمتبرقعة بلبوس القومية والدين ، مميزة بين المخلصين لرسالة هذه الامة ومبادئها السامية ، وبين الادعياء الذين مارسوا التضليل والخداع ، فكانت احداث هذه الواقعة العظيمة محكا لفرز الاصيل عن الدخيل من خلال المواقف المعلنة وغير المعلنة ، فكانت فرصة تاريخية نادرة اكتشفت من خلالها الجماهير العربية حقيقة بعض الانظمة العربية المتحكمة في اجزاء من الوطن العربي ، وحقيقة القوى والتنظيمات المرتبطة بها تماما ، كما افرزت قادسيه سعد من قبل المجاهدين الحقيقيين المخلصين لرسالة الاسلام والعروبة واولئك الانهزاميين المتخاذلين ...

لقد اماطت هذه المعركة اللثام في مواقع المواجهة المباشرة مع العدو عن المندفعين بايمان وحماس في اداء شرف المشاركة فيها والمتخاذلين

الجبناء الذين لم ينالوا شرف اداء الواجب المقدس ويكشف بطل التحرير القومي الرئيس المناضل صدام حسين هذه الحقيقة عند حديثه عن بعض مجريات هذه المعركة المظفرة بقوله :

« .. وقد تتساءلون ، الم يكن بين هذا الحشد من الصناديد من اهتز او تخاذل في المعركة؟ واقول لكم : بلى ولكنهم والله قلة سيسجل عنهم التاريخ ما يخجلهم وما لا يشرف ذويهم وسيسجل التاريخ للابطال الصناديد ما يرفع رؤوسهم ورؤوس آبائهم واحفادهم من بعدهم .. » .

ويشير القائد المناضل صدام حسين لبعض الحقائق التاريخية الخاصة بقيم وتقاليد القتال المقدس عند العرب في ماضيهم التليد الزاخر بالمآثر النضالية الفذة والممتدة الى الحاضر والتي تشخص في مواقف الرجولة وعدم التخاذل والتمسك

باصول وقواعد المنازلة والمواجهة الباسلة للعدو حيث يقول :

« .. لقد كان العرب والعراقيون لا يجالسون من لا يقاتل وكانت العربيات والعراقيات لا يقترن بمن لا يقاتل .. وكان الابناء لا يذكرون اباءهم من هذا الصنف في المفاخرة .. واني لادعو العراقيين والعراقيات الى احياء وتعزيز هذا التقليد لكي نبقى مرفوعي الرأس وقادرين على الذود عن مبادئنا ورسالتنا .. »

(٣) ــ الاثبات الفعلي للمعادلة العسكرية العربية والتي ابتنيت على حقيقة ان الانتصار وجني النتائج في المواجهات الحاسمة : « يحددها اصحاب الارادات الصلبة والعقول الحادة والاذرع الحازمة التي ترتوي من عمق العقيدة ومعانيها.. » كما يقرر الرئيس القائد العربي الجسور صدام حسين ، وليست الحشود من الاعتدة والرجال ،

الاقنعة عن كل الوجوه المتسترة والمتبرقعة بلبوس القومية والدين ، مميزة بين المخلصين لرسالة هذه الامة ومبادئها السامية ، وبين الادعياء الذين مارسوا التضليل والخداع ، فكانت احداث هذه الواقعة العظيمة محكا لفرز الاصيل عن الدخيل من خلال المواقف المعلنة وغير المعلنة ، فكانت فرصة تاريخية نادرة اكتشفت من خلالها الجماهير العربية حقيقة بعض الانظمة العربية المتحكمة في اجزاء من الوطن العربي ، وحقيقة القوى والتنظيمات المرتبطة بها تماما ، كما افرزت قادسيه سعد من قبل المجاهدين الحقيقيين المخلصين لرسالة الاسلام والعروبة واولئك الانهزاميين المتخاذلين ...

لقد اماطت هذه المعركة اللثام في مواقع المواجهة المباشرة مع العدو عن المندفعين بايمان وحماس في اداء شرف المشاركة فيها والمتخاذلين

وهذا ما كان بالفعل وخلال كل المعارك التاريخية الفاصلة التي خاضتها الامة العربية مع اعدائها وبشكل خاص خلال معارك التحرير في صدر الاسلام ، ومعركة قادسية صدام حسين — في الوقت الحاضر ، حيث قاتل العرب بروحهم المعنوية وبأرادتهم الصلبة وبايمانهم العميق والمتجدد برسالتهم ومبادئهم القومية والانسانية الرفيعة ، فكان سلاح لاعداء يخرس امام صيحاتهم القوية ، والرجال تلوي اعناقها وتتقهقر امام الاندفاع البطولي للفرسان العرب الذين ينقضون بحماسة وجلد منقطع النظير على اعدائهم لا يأبهون بشيء ، وهمهم الوحيد هو تحقيق النصر والظفر ، مجسدين بحق مقولة القائد المظفر صدام حسين :

« ان بين ان يكون الانسان بطلا صنديدا مرفوع الرأس شامخا وبين ان يكون غير ذلك لحظات قصيرة من الزمن وقدر محسوب بين ان تكون او

الجبناء الذين لم ينالوا شرف اداء الواجب المقدس ويكشف بطل التحرير القومي الرئيس المناضل صدام حسين هذه الحقيقة عند حديثه عن بعض ماجريات هذه المعركة المظفرة بقوله :

« •• وقد تتساءلون ، الم يكن بين هذا الحشد من الصناديد من اهتز او تخاذل في المعركة، واقول لكم : بلى ولكنهم والله قلة سيسجل عنهم التاريخ ما يخيبهم وما لا يشرف ذويهم وسيسجل التاريخ للابطال الصناديد ما يرفع رؤوسهم ورؤوس آبائهم واحفادهم من بعدهم •• » •

ويشير القائد المناضل صدام حسين لبعض الحقائق التاريخية الخاصة بقيم وتقاليد القتال المقدس عند العرب في ماضيهم التليد الزاخر بالمآثر النضالية الفذة والممتدة الى الحاضر والتي تشخص في مواقف الرجولة وعدم التخاذل والتمسك

باصول وقواعد المنازلة والمواجهة الباسلة للعدو حيث يقول :

« •• لقد كان العرب والعراقيون لا يجالسون من لا يقاتل وكانت العربيات والعراقيات لا يقترن بمن لا يقاتل •• وكان الابناء لا يذكرون اباءهم من هذا الصنف في المفاخرة •• واني لادعو العراقيين والعراقيات الى احياء وتعزيز هذا التقليد لكي نبقى مرفوعي الرأس وقادرين على الذود عن مبادئنا ورسالتنا •• »

(٣) ــ الاثبات الفعلي للمعادلة العسكرية العربية والتي ابتنيت على حقيقة ان الانتصار وجني النتائج في المواجهات الحاسمة : « يحددها اصحاب الارادات الصلبة والعقول الحادة والاذرع الحازمة التي ترتوي من عمق العقيدة ومعانيها •• » كما يقرر الرئيس القائد العربي الجسور صدام حسين ، وليست الحشود من الاعتدة والرجال ،

وهذا ما كان بالفعل وخلال كل المعارك التاريخية الفاصلة التي خاضتها الامة العربية مع اعدائها وبشكل خاص خلال معارك التحرير في صدر الاسلام ، ومعركة قادسية صدام حسين – في الوقت الحاضر ، حيث قاتل العرب بروحهم المعنوية وبأرادتهم الصلبة وبايمانهم العميق والمتجدد برسالتهم ومبادئهم القومية والانسانية الرفيعة ، فكان سلاح لاعداء يخرس امام صيحاتهم القوية ، والرجال تلوي اعناقها وتتقهقر امام الاندفاع البطولي للفرسان العرب الذين ينقضون بحماسة وجلد منقطع النظير على اعدائهم لا يأبهون بشيء ، وهمهم الوحيد هو تحقيق النصر والظفر ، مجسدين بحق مقولة القائد المظفر صدام حسين : « ان بين ان يكون الانسان بطلا صنديدا مرفوع الرأس شامخا وبين ان يكون غير ذلك لحظات قصيرة من الزمن وقدر محسوب بين ان تكون او

لا تكون ، حاجز محسوب تقرره ارادتكم وحدكم .. » .

(٤) – تفجر من خلال معركة قادسية صدام حسين سيل زاخر من الادب القتالي ساهم في رفد المعركة بفيض متدفق من الحماسة واثارة العزائم والهمم ، عبر فيه الشعراء والكتاب ، والفنانون عن التحامهم بالكلمة والصوت القوي المفعم بحرارة الايمان – مع المقاتلين في هذه المعركة العظيمة ، .. واذا كانت معركة القادسية الاولى قد خلفت لنا نتاجا ادبيا عربيا يختص بها ويسجل بالحروف الملتهبة وقائعها ، فيقينا ان معركة قادسية صدام حسين ستترك قياسا لما امتلأت به الصحف ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة من الوان شتى من النتاج الادبي والثقافي والفني ، الذي يمجد ويصور ، ويحلل معطيات ودروس هذه الواقعة العظيمة – اشعارا جليلة عامرة بصور الاحداث ، وبالنصوص الحية لماجرياتها ..

سيكون لقادسية صدام حسين رواتها الثبت من المقاتلين الشجعان الذين اسهموا في القتال فيها ، وستكون لها الصور الحية المعبرة بصدق عن الفعاليات والمجهودات القتالية في كل المواقع التي جرت فيها فصول المعركة ، وسيكون لها التراث الادبي الزاخر بفيض متدفق من الوان الشعر والكتابات الادبية، ستجعل المؤرخ والباحث امام مادة دسمة ومتشعبة يجد فيها ضالته المنشودة في التحليل والاستنتاج للوقوف على حقائق الموقف في هذه المعركة التاريخية الكبرى .

وسيكون للقادة والرجال العظام الذين صنعوا مشاهد وفصول هذه الواقعة الكبرى صفحات لامعة في سجلات اهل التراجم والسير .

مراجع البحث

١ ـ الكامل في التاريخ ، ابي الحسن بن الاثير ـ المجلد الثاني ـ دار بيروت ، ١٩٦٥ .

٢ ـ البداية والنهاية ـ الحافظ ابن كثير ـ المجلد السابع ـ ط ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .

٣ ـ تاريخ الامم والملوك ـ ابن جرير الطبري ـ الجزء الثالث ، ١٩٣٩ .

٤ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الاندلسي / شرح وتصحيح : احمد امين احمد الزين ، ابراهيم الابياري (الاجزاء ١ ، ٢ ، ٣) ، القاهرة ، ١٩٤٢ .

٥ ـ مجمع البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الاول ، بيروت ١٩٥٥ .

٦ ـ الفتوحات الاسلامية / بعد مضي الفتوحات النبوية ، احمد زيني دحلان ، الجزء الاول ، مصر ، ١٣٥٤ هـ .

٧ ـ حركة الفتح الاسلامي ، د. شكري فيصل، دار الكتاب ، ١٩٥٢ .

٨ ـ تاريخ الادب العربي / العصر الاسلامي ، د. شوقي ضيف / سلسلة تاريخ الادب العربي (٢) الطبعة السادسة .

٩ ـ في سبيل البعث ، ميشيل عفلق ـ الطبعة الثانية عشرة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٤ .

١٠ـ احاديث الرئيس القائد صدام حسين ..

١١ـ لمحات من السيرة النضالية للرسول (ص) من مسلسل (معالم الثورة العربية الكبرى في الاسلام) (١) ـ مخطوط ـ للمؤلف .

صدر من الموسوعة الصغيرة

١ ـ العرب والحضارة الاوربية ، د . فيصل السامر .

٢ ـ فلسفة الفيزياء ، د . محمد عبداللطيف مطلب .

٣ ـ الحقيقة الاشتراكية لحزب البعث العربي الاشتراكي عزيز السيد جاسم .

٤ ـ قضايا المسرح المعاصر ، سامي خشبة .

٥ ـ الصناعات البتروكيمياوية ومستقبل النفط العربي . محمد ازهر السماك .

٦ ـ الثورة والديمقراطية ، صباح سلمان .

٧ ـ دانتي ومصادره العربية والاسلامية ، عبدالمطلب صالح.

٨ ـ الطب عند العرب ، د . عبداللطيف البدري .

٩ ـ انغولا .. الثورة وابعادها الافريقية ، حلمي شعراوي .

١٠ـ معالجات تخطيطية لظاهرة التحول الحضري ، د . حيدر كمونة .

١١ـ مصادر الطاقة ، د . سلمان رشيد سلمان .

١٢ـ التراث كمصدر في نظرية المعرفة والابداع في الشعر العربي الحديث ، طراد الكبيسي .

١٣ـ التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية ، د . نوري جعفر .

١٤- الثقافة والتنظيمات الشعبية ، عبدالغني عبدالغفور.

١٥ - العوامل المحفزة لنمو الدخل القومي ، د. كاظم حبيب.

١٦ - فن كتابة الاقصوصة ترجمة : كاظم سعدالدين .

١٧ - الاعلام والاعلام المضاد ، صاحب حسين .

١٨ - استثمار المواد الكيمياوية والعضوية الملوثة البيئة ، طارق شكر محمود .

١٩ - مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية ، د . هاشم الطعان .

٢٠- الانسان اخر المعلومات العلمية عنه ، ترجمة : كاميران قره داغي .

٢١- الشعر في المدارس ترجمة : ياسين طه حافظ .

٢٢- من عصر البخار الى عصر الليزر ، د . اسامة نعمان .

٢٣- الاتصال والتغير الثقافي ، هادي نعمان الهيتي .

٢٤- المدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب ، د . جعفر آل ياسين .

٢٥- الصهيونية ليست حركة قومية ، بديعة امين .

٢٦- الدفاع المدني الشعبي ، صالح مهدي عماش .

٢٧- النسبية من نيوتن الى انشتاين ، د.طالب ناهي الخفاجي

٢٨- فن التمثيل عند العرب ، د . محمد حسين الاعرجي .

٢٩- الموسيقى الالكترونية ، د . علي الشوك .

٣٠- دراسة في التخطيط الاقتصادي ، د . يحيى غني النجار

٣١- الرواية العربية والحضارة الاوربية ، شجاع مسلم العاني.

٣٢- نقد الفكر البرجوازي المعاصر ترجمة : يوسف عبدالمسيح ثروة .

٣٣- الطاقة وافاقها المستقبلية ، د . عادل كمال جميل .

٣٤- فن الترجمة ، ترجمة د . حياة شرارة .

٣٥- صورة الكون ، د . محمد عبداللطيف مطلب .

٣٦- مدارس النقد الادبي الفرنسي المعاصر . نهاد التكرلي .

٣٧- النهضة ، د . كمال مظهر احمد .

٣٨- الحرب النفسية ، د . فخري الدباغ .

٣٩- الانسان والبيئة ، ترجمة عصام عبداللطيف احمد .

٤٠- في علم التراث الشعبي ، لطفي الخوري .

٤١- مساهمة العرب في علوم الحياة ، عادل محمد حسين الشيخ علي .

٤٢- العنصرية الصهيونية ، د . عبدالوهاب المسيري .

٤٣- المصادر الاساسية للفنان التشكيلي المعاصر في العراق ، عادل كامل .

٤٤- سايكولوجية الطفل في مرحلة الروضة ، مدحت عبدالرزاق عبدالنبي .

٤٥- لمحات موجزة من تاريخ نضال الشعب العراقي صادق حسن السوداني .

٤٦- التكنولوجيا المعاصرة د. طه تايه ذياب ود. سامي مظلوم صالح

٤٧- نظرية النظم . تاريخ وتطور . د. حاتم الضامن

٤٨ ـ الطفل هذا الكائن العجيب ، د . ضياء الدين ابو الحب .

٤٩ ـ في المسرح الشعري ، عبدالستار جواد .

٥٠ ـ الكيمياء عند العرب . د . جابر الشكري

٥١ ـ نزعات انسانية في موسيقى بتهوفن ، غانم الدباغ .

٥٢ ـ نظرات في علم الوراثة ، د . عبدالاله صادق .

٥٣ ـ مقدمة في تاريخ للعربية ، د . ابراهيم السامرائي .

٥٤ ـ الاسطورة ، د . نبيلة ابراهيم .

٥٥ ـ برج بابل ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا .

٥٦ ـ التاريخ الاقتصادي للشرق الاوسط ، ترجمة وتعريب عادل ابراهيم يعقوب .

٥٧ ـ الرواية والمكان ، ياسين النصير .

٥٨ـ التخطيط المعاصر للمدن ، د . باسم رؤوف

٥٩ ـ هذا هو الفارابي ، مدني صالح .

٦٠ـ اعلام في النحو العربي ، د . مهدي المخزومي

٦١ ـ حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم ، ترجمة : يوسف عبدالمسيح ثروة .

٦٢ـ نظرات جديدة في مستقبل العمل الاذاعي ـ سعد البزاز .

٦٣ـ في صحة المجتمع . د . عبدالحسين بيرم .

٦٤ـ الرياضيات عندالعرب . د. احمد نصيف الجنابي .

٦٥ـ الابعاد القومية لثورة مايس ١٩٤١ في العراق د . محمد مظفر الادهمي .

٦٦ـ جدلية أبي تمام د . عدالكريم الباقي .

٦٧ـ المدخل لتاريخ العمارةالعباسية وتطورها. شريف يوسف

٦٨ـ الطب البيطري عندالعرب . د . طه حامد الشبيب .

٦٩ـ جماليات الفنون . د . كمال العيد .

٧٠ـ العلاج النفسي ، انواعه ، اساليبه ، مدارسه . د . فخري الدباغ .

٧١ ـ ملامح من الشعر القصصي في الادب العربي د . نوري حمودي القيسي .

٧٢ـ تاريخية المعرفة منذ الاغريق حتى ابن رشد .

٧٣ـ التزامن بين الحروب الصليبية والف ليلة وليلة عبد الفني الملاح .

٧٤ـ الدماغ البشري د . طارق ابراهيم حمدي .

٧٥ـ آراء في الكتابه والعمل الصحفي . وائل العاني

٧٦ـ تيارات حديثة في الادب الالماني . د . مصطفى عبدالحميد

٧٧ـ هنا بدأ التاريخ . تاليف . س . ن كريمر ، ترجمة : ناجية مراني .

٧٨ ـ ظهور الرواية الانجليزية . ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز .

٧٩ ـ اضواء على حركة الشباب في القطر العراقي شامل عبدالقادر

٨٠ـ المعجم العربي ، د . حسين نصار .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
١٤٥٠ لسنة ١٩٨٠

المحتويـــات

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م